جامعة دمشق
كليـــة التربيـــة
قسم المناهج وأصول التدريس

إسهامات برهان الإسلام الزُّرْنُوجي في مجال طرائق التدريس

دراسة تحليلية: "لكتاب تعليم المتعلم طريق التعلم"

رسالة أعدها لنيل درجة الماجستير في المناهج وأصول التدريس

الطالــب

صـــالح العلـــي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

ســـام عمَّـــار

١٤٢٦ هــ - ٢٠٠٥ م

نوقشت هذه الرسالة ومنحت بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٣٠م من قبل لجنة الحكم المشكلة على النحو الآتي:

١- الأستاذ الدكتور علي منصور الأستاذ في قسم علم النفس بكلية التربية

٢- الأستاذ الدكتور سام عمار الأستاذ في قسم المناهج وأصول التدريس بكلية التربية

٣- الأستاذ الدكتور أحمد كنعان الأستاذ في قسم المناهج وأصول التدريس بكلية التربية

الإهـــــداء

إلى من ربياني صغيراً...ولم تكتحل عينهما برؤيتي شاباً

والديّ رحمهما الله تعالى

إلى كل من علمني حرفاً أو أسدى إلي معروفاً

إلى من ينشد نظاماً تربوياً فريداً يربي الإنسان على أساس القيم الخلقية الفاضلة

شكر وتقدير

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴿٢٣٧﴾﴾[البقرة:٢٣٧].

قال النبي ﷺ: ((**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**))[1].

امتثالا لقول الله ﷻ وقول النبيﷺ ، واعترافا بالفضل والجميل أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة أستاذي الدكتور سام عمار عميد كلية التربية حفظه المولى من كل سوء ، ونفع بعلمه البلاد والعباد، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على الرسالة، ، ولم يضنّ عليّ بنصح، أو علم، أو وقت.

كما أخص بالشكر أيضا أساتذتي الأفاضل الدكتور علي منصور والدكتور أحمد كنعان اللذَيْن تفضلا بقبول مناقشة الرسالة، ومنحاني من وقتهم الثمين.

(١) أخرجه الترمذي وقال عنه: حديث حسن صحيح. (العجلوني ١٤٠٥، ٢٦٦/٢).

المحتوى

الفصل الأول

مشكلة البحث

١- مقدمة

إن المفكرين التربويين بما يقدمون من فكر نافع وضروري لرقي الأمة، وتقدمها، يمثلون عقل لأمة الذي يبث الحياة في نواحيها كافة .

إن أولئك المفكرين يقدمون الإبداعات التربوية التي تبين دور الأمة، ومركزها، وصورتها الحقيقية في مثاليتها وواقعيتها بين الأمم الأخرى. لذلك ينبغي الاهتمام بدراسة أفكارهم التربوية، بقصد بيان جهودهم في المجالات التربوية التي أثرت الفكر التربوي المعاصر، وأسهمت في وضع مقوماته من جهة، ومحاولة الكشف عن تاريخ التربية الإسلامية، وربطها بالتربية الحديثة، بما لا يتعارض مع أهدافها، ومقاصدها، ومصادرها الشرعية من جهة أخرى.

فعلى الرغم من كثرة الكتابات ووفرتها، وتنوعها في الجوانب المختلفة للفكر التربوي العربي والإسلامي فيما يبدو ظاهراً ما تزال قليلة إذا ما قورنت بالنتاج الفكري التربوي الذي يزخر به الفكر العربي والإسلامي من ناحية، وزيادة اهتمام المفكرين التربويين العرب والمسلمين بالفكر التربوي الغربي بحثاً،ودراسة، وتأليفاً من ناحية أخرى.

وتعد هذه الدراسة عن الفكر التربوي عند برهان الإسلام الزُّرْنُوجي بعامة، وإسهاماته في مجال طرائق التدريس بخاصة، من خلال كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم"، خلاصة فكر، وفلسفة، وثقافة إسلامية، عرف فيها الزُّرْنُوجي، ولها أهميتها التاريخية، إذ إنها تمثل إحدى منارات الفكر التربوي الإسلامي في القرن السادس الهجري الذي يكشف لنا بوضوح عن تاريخ الفكر التربوي الإسلامي، وأهميته في تلك الفترة الزمنية، وعن مواصلة مسيرة البحث والتأليف في الفكر التربوي الإسلامي بشكل مستقل عن البحوث الإسلامية التخصصية، كالفقه، وأصوله، والقرآن، وعلومه...الخ.

٢- مشكلة البحث

على الرغم مما حققه التربويون حديثاً من تطور كبير في مختلف الدراسات التربوية التي جمعت بين النظرية والتطبيق ما تزال الجهود التي بذلت قديماً وحديثاً في دراسة الأفكار التربوية عند مفكري العرب والمسلمين قليلة، وهي ما تزال بحاجة إلى دراسة مستفيضة في جوانب محددة من الفكر التربوي العربي والإسلامي.

إن للفكر الإسلامي إبداعه وثماره في العلوم كافة، ولاسيما الدراسات التربوية التي استفاد منها الشرقيون والغربيون، وساهمت في نهضتهم العلمية، وتطور الحضارة الإنسانية.

لقد أحس الباحث بالمشكلة، وبدت له مظاهرها من خلال الأمور الآتية:

١ - يرى الباحث أن بعض الباحثين في تاريخ التربية من الشرقيين أو الغربيين و من العرب والمسلمين أنفسهم يهملون دراسة الفكر التربوي عند العرب والمسلمين ؟! .. وهنا ينتاب الباحثَ شعور بصعوبة هذه المشكلة، وضرورة المساهمة في حلها، حيث يرى أن الحل يكمن في تضافر جهود الباحثين لإظهار الأفكار التربوية عند العرب والمسلمين ، وبيان آرائهم النيرة التي ساهمت في تطوير طرائق الدراسات التربوية. ومما يثير الاهتمام أيضا أن الكتابات التربوية الإسلامية التي بدأت منذ القرن الثالث الهجري على يد العالم محمد بن سحنون في كتابه " آداب المعلمين " والغزالي بعده في القرن الرابع الهجري، والزُّرْنُوجي في القرن السادس الهجري تعد نقطة تحول مهمة في تاريخ التربية العربية والإسلامية،ولكنها لم تستثمر استثماراً تربوياً صحيحاً.والفكر التربوي لدى الزُّرْنُوجي يساهم في حل كثير من المشكلات التربوية إذا ما وظف توظيفا هادفا وسليما.

٢ - إن العنصر الأساسي لمشكلة البحث التي يحس بها الباحث هو أن بعض الأفكار التربوية القديمة والحديثة التي نسبها بعض المربين القدامى أو المعاصرين الغربيين لأنفسهم، يمكن بيان

فضل السبق في بعضها للمفكرين العرب والمسلمين، ولاسيما الزُّرْنُوجي، في بعض الأفكار التربوية بموضوعية.

٣ – إن ما يزيد من مشكلة البحث وصعوبتها أن المراجع القديمة والدراسات الحديثة لاتعطينا قدراً وافياً عن حياة الزُّرْنُوجي العلمية والتربوية، لذلك كان اعتماد الباحث على كتاب الزُّرْنُوجي الوحيد " تعليم المتعلم طريق التعلم" ، والبحث فيه لاستنتاج وإبراز جوانب مهمة من شخصية الزُّرْنُوجي وفكره، من خلال بعض الإشارات التي صاغها بلغة فقهية، وبأسلوب أدبي في بعض الأحيان ،وإبراز بعض أفكاره التربوية نثراً وشعراً.

٤ – إن إيمان الباحث بضرورة تقصي الجوانب والقيم التربوية لدى الزُّرْنُوجي، ليدعوه إلى دراسة هذا الفكر، وبيان إيجابياته وسلبياته، والاستفادة من الإيجابيات في بناء الحاضر، والتطلع لمستقبل زاهر، وربط هذه الإيجابيات بمعطياتها، وحاجاتها، وأهميتها في بناء منظومة القيم والمحافظة عليها.

إن مشكلة البحث تتحدد في محاولة الكشف عن الجهود التي قام بها الزُّرْنُوجي في مجال طرائق التدريس، ودراستها دراسة تحليلية ، ومقارنتها بالفكر التربوي الحديث، وتأصيلها من خلال ذكر الأصول و المصادر الشرعية؛ كالقرآن الكريم، والسنة النبوية... التي استنبطت منها.

٣– أسئلة البحث

يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية :

١ – ما المؤثرات الثقافية والاجتماعية والسياسية والتربوية التي أثرت في فكر الزُّرْنُوجي؟

٢ – ما آراء الزُّرْنُوجي وأفكاره التربوية في مجال طرائق التدريـــس ؟

٣ – هل يمكن الاستفادة من فكر الزُّرْنُوجي التربوي في مجال طرائق التدريس في الدراسات التربوية الحديثـــة؟

٤ – ما المصادر والأصول التي اعتمد عليها الزُّرْنُوجي في أفكاره التربوية ؟

٥ – هل استطاع الزُّرْنُوجي توظيف معارفه الشرعية واللغوية والفلسفية في صياغة قواعد تربوية محددة ؟

٤–أهمية البحث

إن التراث الفكري العربي والإسلامي ينطوي على أفكار تربوية، ينبغي الوقوف عندها، وبيان أصالة هذا التراث ، وتأمل مكنوناته ، ومعرفة كنوزه التربوية، والفكرية ، والعلمية، واستخلاص الجوانب المضيئة للإفادة منها في عملية البناء والتطوير حاضرا ومستقبلا؛ ويمكن العمل على تكوين جانب مهم من البحث في تاريخ التربية العربية والإسلامية بماضيها، وحاضرها ، ومستقبلها.

وتتجلى أهمية هذا البحث في عكس صورة جانب من ماضي هذه الأمة، ومعاناتها، والبحث في بعض أسباب ضعفها،وخلاصها، وتحررها، والاستفادة من خصوبة إنتاجها الفكري والتربوي بما يخدم مصالحها، والتمسك بقيمها، ومثلها العليا.

ومما يعزز من أهمية هذا البحث أن الزُّرْنُوجي مارس عملية التعليم فترة طويلة من حياته، شأنه في ذلك شأن معظم علماء الأمة، وهذا ما يجعل لفكره التربوي وإسهاماته في مجال طرائق التدريس أهمية خاصة ، فهو لم يقتصر على مجرد طرح أفكاره التربوية فحسب، بل طبقها في المجال التعليمي ، وفي ذلك بعد تربوي تطبيقي، يتمثل في التعمق في معالجة القضايا التربوية من جهة، وجعلها معبرة عن الواقع العلمي والتربوي لعصره من جهة أخرى، وبهذا يمكننا الإفادة منها حاضرا ومستقبلا.

ومما يكسب هذا البحث أهمية أيضا إمكانية أن يفتح فكر الزُّرْنُوجي آفاقاً تربوية تعليمية جديدة، يمكن أن يستمد منها الباحثون اليوم أساليب وطرائق ومبادئ سليمة وقويمة، متجددة ومتطورة، وإبرازها أساساً للتربية المعاصرة، ومنطلقاً لها، لبلورة المفاهيم الفكرية والتربوية الحديثة وتطويرها.

تلك المعاني والاعتبارات شدت اهتمام الباحث إلى دراسة إسهامات الزُّرْنُوجي في مجال طرائق التدريس، وهناك اعتبارات أخرى تزيد من أهمية البحث، يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١ – يعد الزُّرْنُوجي علماً من أعلام التربية الإسلامية، و أفكاره التربوية لاتقل أهمية في نظر الباحث عن الأفكار التربوية المعاصرة، ومن ثَمّ فإن دراسة تلك الأفكار دراسة تحليلية، تهتم في الكشف عن جوانب القوة والضعف في الفكر التربوي الإسلامي في ذلك العصر. وهذا يفرض على الباحثين الاستفادة من جوانب القوة، وتوظيفها في خدمة المجتمع الإنساني، والابتعاد عن جوانب الضعف، وتنقية التراث الإسلامي منها.

٢ – إن دراسة الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي لم تأخذ حقها من البحث الذي يوضح أبعادها، ويبرز مكنوناتها في إطار شامل متكامل، ويبين تأثيرها في التربية الحديثة، ويربطها بمصادرها، ومقاصدها. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتحديد تلك المعاني، والمفردات، وبيان أهمية التواصل مع الفكر التربوي الإسلامي، وتقدير جهود المفكرين المسلمين للجوانب التربوية التي تهتم بتكوين شخصية الإنسان، وتنمية قدراته، وتعدّه لبناء الكون وعمارته.

٥– أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق الأمور الآتية :

١ – بيان المؤثرات الثقافية والاجتماعية والسياسية والتربوية التي أثرت في فكر الزُّرْنُوجي.

٢ – ذكر آراء الزرنوجي وأفكاره التربوية في مجال طرائق التدريس.

٣ – بيان مدى الاستفادة من فكر الزُّرْنُوجي التربوي في مجال طرائق التدريس في الدراسات التربوية الحديثة.

٤ – بيان قدرة الزرنوجي في توظيف معارفه الشرعية واللغوية والفلسفية في صياغة قواعد تربوية.

٥ – ربط الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي بمصادره الشرعية؛ كالقرآن الكريم، والسنة النبوية.

٦-حدود البحث

اقتصر البحث على الحديث عن إسهامات الزُّرْنُوجي في مجال طرائق التدريس في القرن السادس الهجري، من خلال كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم" وذلك عن طريق دراسة هذا الكتاب دراسة تحليلية ، يبين الباحث فيها أهم المبادئ التربوية في مجال طرائق التدريس عند الزُّرْنُوجي، ويقارنها بالفكر التربوي المعاصر، ويربطها بالأصول والمصادر الشرعية التي استقيت منها .

٧- منهج البحث

استخدم الباحث في موضوع البحث المناهج الآتية:

١ - **المنهج الوصفي**: يستخدم هذا المنهج عادة في الدراسات التي تصف الماضي أو الواقع الموجود للبشر، كالأفراد، والجماعات، والأنشطة الفكرية والعملية للمؤسسات والجماعات، وبيان آثار هذه الأنشطة (صيني ،١٩٩٤، ٦٣). وعلى وفق هذا المنهج يقوم الباحث بوصف الواقع الثقافي والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عصر الزُّرْنُوجي، وتحليل هذا الواقع، وبيان مدى تأثيره في شخصية الزُّرْنُوجي من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي .

٢ - **المنهج التقويمي أو النقدي**: يستعمل الباحث هذا المنهج من أجل إبراز الإيجابيات والسلبيات، وجوانب القوة والضعف في الأفكار التربوية التي طرحها الزُّرْنُوجي ، وإصدار حكم عليها، من حيث صلاحيتها لعصرنا الراهن أو لا.

٣ - **المنهجان الاستقرائي والاستنباطي**:يقوم الباحث بتتبع النصوص أو الجمل، أو العبارات في كتاب الزُّرْنُوجي ، وقراءتها بعمق، وتحليلها ، وجمع المتشابه منها، لرصد الأسس التربوية، والوصول إلى مبدأ عام أو قاعدة تربوية.

٤- **المنهج التاريخي**:من خلال الحديث عن حياة الزُّرْنُوجي، والأوضاع السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية في عصره.

ويلاحظ أن هناك تداخلاً بين المناهج الوصفية والاستنباطية والاستقرائية، لذلك قام الباحث بالاستفادة من هذه المناهج جميعها في الدراسة موضوع البحث.

٨- مصطلحات البحث

لما كان البحث لا يحتوي على مصطلحات إجرائية ،لذلك فإن الباحث سيعرّف بالمصطلحات التي ترد في بحثه،من خلال الرجوع إلى المعاجم، والكتب الأخرى.ويمكن تقسيم مصطلحات البحث إلى قسمين: مصطلحات تربوية،ومصطلحات إسلامية،وسنذكر تعريفاً لهذه المصطلحات.

١/٨- المصطلحات التربوية

التربية : " كل ما يتلقاه الإنسان من تأثيرات من كل مختلف عناصر الحياة المحيطة به سواء كانت هذه التأثيرات واردة بقصد، أم بغير قصد، وسواء كانت حية أم غير حية". (علي، ٢٠٠١، ٣٢).

التعليم : " ذلك الجزء المنظم من التربية وفق أنساق معرفية محددة ". (علي ، ٢٠٠١ ، ٣٤).

التعليم مدى الحياة (التعليم المستمر) : " تعلم مستمر يبدأ من بداية حياة الإنسان حتى نهايتها".(القلا ، ١٩٩٣، ١٦١).

تعلم ذاتي " تعلم يعتمد على نشاط المتعلم أثناء التعلم، ويتطلب الحوافز، والبيئة، والتعزيز اللازم لتقوية التعلم " .(القلا، ١٩٩٣،١٧٢)

التعليم النظامي : " اتصال منظم ومستمر وهادف بين المعلم والمتعلم لإحداث تعلم".(القلا، وناصر،١٩٩٠، ص٩).

التعلم : " التفاعل الذي يطغى فيه نشاط المتعلم. أما النشاط الذي يطغى فيه نشاط المعلم ويصبح مسيطراً فهو التعليم ".(القلا،وناصر،١٩٩٠، ١٢).

التدريس : " تستخدم عبارة التدريس للدلالة على العمليات التي يقوم بها المدرس مع الدارسين في المراحل التعليمية المتقدمة الثانوية والجامعية ".(القلا ،وناصر،١٩٩٠،أ، ٩).

أو هو " ضبط سلوك المتعلم على أسس علمية، تتيح تفسير الظواهر، والتنبؤ بها، والتحكم بسلوك المتعلم للوصول إلى أهداف محددة". (القلا ،وناصر،١٩٩٠، ١٨). أو هو : " عملية الأخذ والعطاء، أو الحوار والتفاعل بين المدرس والتلميذ". (أبوهلال، ١٩٧٩، ١٧).

أصول التدريس : " البحث في تنظيم مكونات التدريس الهامة التي تؤدي إلى تحسين التعلم؛ كالأهداف، والاستراتيجيات " الطرائق والوسائل " ، وتنظيم المواد، وعرض النماذج".(القلا،وناصر،١٩٩٠، ٢٠).

طريقة التدريس : " الكيفية أو الأسلوب الذي يقوم فيه المدرس بعملية التدريس والتربية".(علي، ٣٤،٢٠٠١).

المناهج : " ما تقدمه النظم التعليمية في إطار مؤسساتها التعليمية إلى المتعلمين، وفقاً لخطة، وتحقيقاً لرسالة في ضوء أهداف تعمل على تحقيقها ".(بغدادي، ١٩٨١ ،١٧)

الكفاءة : " أعلى مستوى يمكن أن يمتلكه المعلم من المعارف والمهارات، والقيم، والاتجاهات التي تجعله قادراً على أداء مهماته التعليمية بأعلى مستوى من الإتقان، يمكن الوصول إليه، ويمكن ملاحظته وقياسه، ويؤدي إلى نمو سلوك التلاميذ". (صلاح، ١٩٩٧ ، ٧٥).

التشويق : " حافز يقدم قبل السلوك المرغوب فيه عادة، ترغيباً في القيام فيه بحيث يثير الاهتمام به في نفس الفرد، ويبعث على مباشرته، وذلك إما بتقديم الحافز، أو بربطه بالقيام بالسلوك على سبيل الاشتراط مثلاً".(حلو، ١٩٩٤ ، ٣٠).

التعزيز : " الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة". (النشواتي،١٩٨٤، ٢٧٣).

الطموح : " التطلع إلى الوصول إلى هدف إنجازي معين ". (عاقل، ١٩٧٩،١٨).

التغذية الراجعة : " نوع من التعزيز الذاتي أو الخارجي ، ويقوم على تصحيح مسار عملية التعليم عن طريق الإحساس الراجع، أو الإعلام، أي الإطلاع على النتائج ، ثناء أو تصحيحاً يتسم باللطف ".(جلو، ٣٦).

الموضوعية : " معيار أساسي من معايير البحث ، يقوم على الصدق والعلم والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصية، ويهدف إلى وصف الظاهرة، أو الموضوع، وصفاً يعتمد على معطيات الواقع، لا على متطلبات المثال المرتجى ".(عبد الله ، ١٩٨٨ ، ١٤٧).

الذكاء : " القدرة على التفكير في العلاقات تفكيراً بنائياً موجهاً نحو تحقيق هدف ما".أو هو" القدرة على التعليم " . (عاقل، ١٩٧٣، ٣٢٩).

٢/٨- المصطلحات الإسلامية

٦٦٥٤٣٦

التأصيل: يقصد الباحث بالدراسة التأصيلية لموضوع البحث ربط المبادئ والأفكار التربوية في مجال طرائق التدريس عند الزُّرْنوجي بالأصول الشرعية، ومصادرها التي استقيت منها من جهة،وبالأفكار التربوية عند المفكرين المسلمين الآخرين السابقين للزرنوجي أحيانا من جهة أخرى.

الشريعة : "كل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء، ويطلق كثيراً على الأحكام الجزئية التي يتهذّب بها المكلف معاشاً، ومعاداً، سواء كانت منصوصة من الشارع ، أم راجعة إليه " (التهانوي، ١٩٩٦، ١/١٠١٩).

الفقة : " العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من أدلتها التفصيلية ". (خَلّاف، ١٩٩٢، ١٢).

أصول الفقه : " مجموعة القواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية " (خلاف،١٩٩٢،٢١ ـــ ٢٢).

الأدلة الشرعية " أصول الأحكام، أدلة الأحكام ،المصادر الشرعية " ألفاظ مترادفة.

" يعرف علماء الأصول الدليل بأنه ما يستفاد منه حكم شرعي عملي مطلقاً، سواء أكان على سبيل القطع ، أم على سبيل الظن، وهذه الأدلة الشرعية التي تستفاد منها الأحكام العملية ترجع إلى أربعة : القرآن ، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذه الأدلة اتفق جمهور المسلمين على الاستدلال بها، وهناك أدلة أخرى ، كالاستحسان ، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب ، والعرف، ومذهب الصحابي ، وشرع من قبلنا، اختلف العلماء في الاستدلال بها على الحكم الشرعي "

(خلاف ،١٩٩٢، ١٠١ ــ ١٠٢).

ــ الحكم الشرعي:

له تعريفان : " فهو في اصطلاح علماء الأصول يقصدون به خطاب المشرع المتعلق بأفعال المكلفين، طلبا، أو تخييراً، أووضعاً. وفي اصطلاح الفقهاء هو الأثر الذي يقتضيه خطاب المشرع في الفعل؛ كالوجوب، والحرمة، والإباحة. والحكم الشرعي ينقسم إلى قسمين: حكم تكليفي، وحكم وضعي ، فالحكم التكليفي : هو ما اقتضى طلب فعل من المكلف أو كفه عن فعل، أو تخييره بين فعل، والكف عنه، وأما الحكم الوضعي: فهو ما اقتضى وضع شيء سبباً لشيء، أو شرطاً له، أو مانعاً له ".(خلاف،١٩٩٢، ١٠١ ــ ١٠٢).

الواجب العيني : " ما طلب المشرع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين، ولا يجزئ قيام مكلف به عن الآخر، كالصلاة ، والزكاة ، واجتناب الخمر " (خلاف،١٩٩٢، ١٠٨).

الواجب الكفائي : " هو ما طلب المشرع فعله من مجموع المكلفين، لا من كل فرد منهم، بحيث إذا قام به بعض المكلفين فقد أدى الواجب، وسقط الإثم، والحرج عن الباقين. وإذا لم يقم به أي فرد من أفراد المكلفين أثموا جميعاً ؛ كالقيام بالصناعات التي يحتاج إليها الناس، والصلاة على الموتى ... " (خلاف،١٩٩٢ ، ١٠٩).

التقوى : " ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة، وهي التي يحصل بها الوقاية من النار، والفوز بدار القرار. وغاية التقى البراءة من كل شيء سوى الله، ومبدؤه اتقاء الشرك ، وأوسطه اتقاء الحرام، والتقوى منتهى الطاعات" .(الحسيني الكفوي ، ١٩٩٣ ، ٢٩٩).

الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" .(الجرجاني ، ١٩٨٨، ١٢).

السنة : في اصطلاح المحدثين : " كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة عند بعضهم، والأكثر إنما تشمل ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي" ، و علماء أصول الفقه يعرفونها بأنها : " ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير". ويعرفها علماء الفقه بأنها : " ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها "(عتر، ١٩٨١ ،٢٧ ــ ٢٨).

المذاكرة "التداول والمراجعة بين الطالب وكتابه"(العطا، ١٩٩٨، ٧٠)

المطارحة:"البحث في المسائل المطروحة بين الأقران وأصدقاء الطلب".(العطا، ١٩٩٨ ، ٧٠)

المناظرة:"المباحثة بين مختلف الرأي لاستخراج الصواب".(العطا، ١٩٩٨ ، ٧٠)

النية:"قصد الفعل"(الأنصاري،١٤١١، ١/٧١).

التواكل:" ترك الأسباب، والتقاعس عن السعي"(عيسى، ٢٠٠١، ٣٠٣).

الورع:"محاسبة النفس"(اللالكائي،١٤١٠، ١ /٤٦).

٩- الدراسات السابقة وموقع البحث الحالي منها

يمكن تصنيف الدراسات السابقة إلى مجموعتين : الأولى: دراسات قليلة الصلة بموضوع البحث،حيث تطرقت لبعض جزئياته، و يمكن الاستفادة منها في ميدان البحث. وجاءت ضمن دراسات عامة في الفكر التربوي الإسلامي،.والثانية:دراسات كثيرة الصلة بموضوع البحث. وجاءت ضمن دراسات خاصة ، بُحث فيها الفكر التربوي عند الزَّرْنُوجي .

٩/١- الدراسات الأقل صلة بموضوع البحث

تناولت هذه الدراسات بعض الأفكار التربوية عند الزَّرْنُوجي، وهي :

٩/١/١ ــ دراسة حمدان، نذير(١٩٨٩): " في التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية" (ص٢١٣-٢٤٢،٢٢٦-٢٥٠). تحدث الباحث في هذه الدراسة عن شخصية الزُّرْنُوجي، بكونه فقيهاً ومتكلماً، وتطرق لدراسة الجوانب التربوية عنده، وتكلم عن أساس تلك الجوانب باختصار. ولم يهتم الباحث بطرائق التدريس عند الزُّرْنُوجي.

٩/١/٢ــ دراسة عبد الغني، عارف(١٩٩٣): " نظم التعليم عند المسلمين" (ص٢٦٦-٢٧٠). تحدث الباحث في هذه الدراسة عن آراء الزُّرْنُوجي في التعليم، ملخصاً النقاط الرئيسة لأفكاره التربوية.

٩/١/٣- دراسة العمايرة، محمد حسن(٢٠٠٠):" الفكر التربوي الإسلامي" وفيه بحث بعنوان" برهان الدين الزُّرْنُوجي" يقع البحث في عشرين صفحة،تحدث فيه عن مجمل الأفكار التربوية عند الزُّرْنُوجي ؛كالتشويق، والحفظ والنسيان، وسن الدراسة،والتنويع في مواد التعلم، وتوجيه المتعلم، وصفات المعلم، والتدرج في طلب العلم، والمنهاج والمواد الدراسية، وأشار إلى تعريف المذاكرة والمطارحة عند الزُّرْنُوجي. البحث قيم ومفيد لكنه مختصر،ولم يهتم كثيراً بطرائق التعلم، ومبادئه عند الزُّرْنُوجي،ولم يقارن بين آرائه و رأي الفكر التربوي الحديث. بالإضافة إلى أنه لم يتعرض لتأصيل أفكار الزُّرْنُوجي التربوية مطلقاً.

ويلاحظ أن هذه الدراسات هدفت إلى إظهار الجوانب التربوية عند الزُّرْنُوجي باختصار.وتمخضت نتائج هذه الدراسات عن غزارة مصادر الشريعة والفكر العربي والإسلامي بالأفكار التربوية التي كانت منطلقا للدراسات التربوية الحديثة،وعن ضرورة الاهتمام بالدراسات التربوية العربية والإسلامية، والاستفادة منها في تطوير الفكر التربوي المعاصر، وتنمية القيم في الأفراد. ويمكن للباحث أن يستفيد من هذه الدراسات لإغناء بحثه.

٩/٢- الدراسات الأكثر صلة بموضوع البحث

هناك بعض الدراسات الخاصة عن الزُّرْنُوجي وأفكاره التربوية، يمكن عرضها في ما يأتي:

٩/٢/١ ــ دراسة أحمد، محمد عبد القادر(١٩٨٦): " كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم تأليف الإمام برهان الإسلام الزُّرْنُوجي، تحقيق ودراسة. تقع الدراسة في ١٨٣ صفحة. هدف الباحث منها الجمع بين تحقيق مخطوط كتاب الزُّرْنُوجي ، والدراسة عنه، فتحدث عن المخطوط، ونسخها، وعمله في التحقيق، والنص المحقق ، وأخذت عملية التحقيق أكثر الدراسة من الصفحة ٦٤ ــ ١٨٣. بينما جاءت الدراسة عن الزُّرْنُوجي وأفكاره التربوية من صفحة ٥٣ ــ ٥٧، مايقارب خمس صفحات، بينما شغل القسم الباقي من الدراسة بالحديث عن التربية في التراث العربي الإسلامي، وترجمة الزُّرْنُوجي، ومخطوطات كتابه، وطبعاته، وقيمته، وشروحه.وبينت نتائج هذه الدراسة بعض أفكار الزُّرْنُوجي التربوية، ووجهت الباحثين للاهتمام بها بخاصة ، و الاهتمام بالتراث التربوي العربي والإسلامي بعامة.ويلاحظ أن الهدف الأساس لهذه الدراسة هو تحقيق مخطوط الكتاب، لذلك لم تف بالغرض المطلوب من دراسة الأفكار التربوية للزرنوجي،ولم تهتم بطرائق التدريس عنده.

٩/٢/٢ــدراسة عثمان، سيد أحمد(١٩٨٨) : "من أعلام التربية العربية الإسلامية" ضمن المجلد الثالث لمكتب التربية العربي لدول الخليج " وهي بحث بعنوان" برهان الإسلام الزُّرْنُوجي وكتابه:تعليم المتعلم طريق التعلم". ويقع البحث في إحدى وعشرين صفحة،من ١٧٥- ١٩٦.تحدث فيه عن حياة الزُّرْنُوجي،وكتابه،وأهم عناصر التعلم عنده؛كالتأهب، والدافعية،والاختيار، والأنشطة، والحفظ والنسيان،وصحة البدن، واجتماعية التعلم.ودرس تلك العناصر في تسع صفحات. البحث قيم لكنه مختصر،ولم يهتم كثيراً بطرائق التعلم، ومبادئه عند الزُّرْنُوجي،ولم يقارن بين آرائه و رأي الفكر التربوي الحديث. بالإضافة إلى أنه لم يتعرض لتأصيل أفكار الزُّرْنُوجي التربوية مطلقاً

٩/٢/٣ــ دراسة عثمان، سيد أحمد(١٩٨٩) :" التعلم عند برهان الإسلام الزُّرْنُوجي" تقع الدراسة في ١٥٥صفحة عدا الملاحق التي خصصها المؤلف للحديث عن التراث الإسلامي، والزُّرْنُوجي في التاريخ، والشبهات التي قيلت عنه.توسع المؤلف بدراسة عناصر التعلم في بحثه

السابق،حيث خصص لها ما يقارب خمسين صفحة من كتابه.وما قيل عن البحث السابق يقال عن هذه الدراسة، إلا أنها موسعة.

٤/٢/٩ـــ دراسة آل عبد الله، فايزة عطا الله محمد(١٩٩٦م-١٤١٦هـــ): " الفكر التربوي عند برهان الدين الزُّرْنوجي في كتابه تعليم المتعلم طريق التعلم" رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى.

تقع الرسالة كاملة، بمحتوياتها وفهارسها في ١٢٧ صفحة.وقسمتها الباحثة إلى خمسة فصول: الفصل الأول وهو الفصل التمهيدي، والفصل الثاني بعنوان " نبذة مختصرة عن عصره وحياته" والفصل الثالث تضمن الحديث عن الكتاب، ووصفه، وأهميته، وقيمته، وأهم أفكاره التربوية، ويلاحظ أن هذه الفصول الثلاثة أخذت أكثر من ثلثي الرسالة من الصفحة الأولى إلى الصفحة الخمسين.

وفي الفصل الثالث تحدثت الباحثة عن الفكر التربوي عند الزُّرْنوجي بحدود خمس صفحات من صفحة ٤٣ ـــ ٤٨ . وجاء الفصل الرابع بالحديث عن آداب العالم والمتعلم عند الزُّرْنُوجي بحدود ٢٥ صفحة من ٥١ ـــ ٧٥ . وخصصت الفصل الخامس والأخير للحديث عن أهم طرق التعلم عند الزُّرْنُوجي، وموقع التربية الحديثة من الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي، وقارنت الباحثة في هذا الفصل بعض آراء علماء التربية الحديثة بآراء الزُّرْنُوجي بحدود ست صفحات من صفحة ١١٣ ـــ ١٢٠.

الهدف من الدراسة هو التعرف على الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي،والعلاقة بينه وبين بعض التربويين المحدثين.واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي الاستدلالي لتحقيق ذلك الهدف.

وركزت نتائج البحث على اشتمال كتاب الزُّرْنُوجي على مبادئ وأساليب تربوية،ومدى اتفاقها مع الأساليب التربوية الحديثة.وبيّنت قيمة كتاب الزُّرْنُوجي الذي عرف في أوربا ، وتأثرت به،ودعت للاهتمام بدراسة الفكر التربوي الإسلامي.

يلاحظ على هذه الدراسة على الرغم من ضآلة حجمها أنها لم تف بالهدف الذي سيقت له وهو بحث الأفكار التربوية عند الزُّرْنُوجي، وإنما اقتصرت على العناوين الرئيسة في كتابه، وجعلتها عناوين لبحثها، دون الاستفاضة في شرحها، وبيانها والتعليق عليها، ومقارنتها بالفكر التربوي الحديث. بالإضافة إلى أنها لم تتحدث عن أساليب التعليم، وطرقه عند الزُّرْنُوجي إلا في تسع صفحات، (ص ٧٦ ــ ٨٥)ولم تعط جانب الدراسة المقارنة حقها من البحث، حيث ذكرت المقارنة لبعض علماء التربية الحديثة مع آراء الزُّرْنُوجي بست صفحات تقريباً (ص١١٣ ــ ١٢٠). ولم تربط بين الفكر التربوي الإسلامي ومصادره الأساسية.

ويتبين من خلال عرض الدراسات السابقة بعامة، ودراسة الباحثة فايزة عطا الله عن الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي بخاصة أن الباحث يمكنه الاستفادة من هذه الدراسات، والتي لا تعدّ مسوغاً لترك البحث في موضوع الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي، إنما تمثل منطلقاً للباحث، ودافعاً للبحث الذي سيقوم به الباحث عن جانب مهم من جوانب الفكر التربوي عند الزُّرْنُوجي ألا وهو إسهاماته في مجال طرائق التدريس. وسيحاول الباحث سد الثغرات التي خلفتها الدراسات السابقة. والتركيز على الأفكار التربوية في مجال طرائق التدريس عند الزُّرْنُوجي، وتحليلها ، ومقارنتها بالفكر التربوي المعاصر، والتربية الحديثة، وبيان قيمتها، ومدى استفادة التربية الحديثة من فكر الزُّرْنُوجي التربوي، بالإضافة إلى أن دراسة الباحث ستربط الفكر التربوي الإسلامي بعامة، وفكر الزُّرْنُوجي بخاصة بمصادر الشريعة ومقاصدها. وهذا ما أغفلته كل الدراسات السابقة.

الفصل الثاني

حياة الزُّرْنُوجي وكتابه ((تعليم المتعلم طريق التعلم))

١- حياة الزُّرْنُوجي

١/١- اسمه ولقبه

إن مصادر الترجمة التي رجع إليها الباحث وغيره من الباحثين الذين كتبوا عن الزُّرْنُوجي لم تذكر اسم الزُّرْنُوجي،أو شيئاً فيما يتعلق بحياته الأسرية،من حيث ولادته، واسم أبيه، أو أمه، أو إخوته ...الخ. وقد اقتصرت هذه المصادر على ذكر لقبه ((برهان الدين)) أو ((برهان الإسلام))، والثاني أشهر، فاشتهر الزُّرْنُوجي بلقبه الذي يدل على تدينه. [اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ٥٤. العطا، ١٩٩٨، ٩. أحمد، ١٩٦٨، ١٠. عاشور، ١٩٨٦، ٧].

٢/١- نسبته

ينسب برهان الإسلام إلى ((زُرْنُوج))، وهي بلدة مشهورة، من بلاد ما وراء النهر.((وبلاد ما وراء النهر هي البلاد التي أطلقها العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري جيحون وسيحون. ولم تكن هذه المنطقة وفقاً لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، لأن هذا الاسم الأخير إنما كان يقصد به بلاد الترك عامة، أي: الأصقاع المترامية الأطراف التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين، والتي كان يقطنها الرُّحل من الترك والمغول)). [أحمد، ١٩٨٦، ١٢، نقلاً عن فلاديمير، ١٩٨١، ١١٤].

وزرنوج ذكرها صاحب معجم البلدان بقوله: ((زُرْنُوج: بضم أوله وسكون ثانيه،ونون، آخره جيم: بلد مشهور بما وراء النهر بعد خوجند، من أعمال تركستان، والمشهور من اسمه زرنوق، بالقاف)) [الحموي، د.ت، ٣/١٣٩]. لذلك فإن النطق الصحيح للزُّرْنُوجي بضم الزاي وتشديدها لا بفتحها كما شاع بين المثقفين.

لقد ذكرت الباحثة فايزة عطا الله آل عبد الله أن الزُّرْنوجي ينسب إلى بلدة زَرَنْج، وهي مدينة في بلاد فارس، وهي العاصمة السابقة لإقليم سجستان. (آل عبد الله، ١٤١٦هـ، ٢٤). إن الباحثة خلطت في نسبة الزُّرْنوجي، ولم تميّز بين زُرْنوج، وزَرَنْج، لذلك فإن الباحث يخالف ما ذهبت إليه الباحثة، ويرى أن الصواب في نسبة الزُّرْنوجي إلى ((زُرْنوج)) وليس إلى ((زَرَنْج)) للأسباب الآتية:

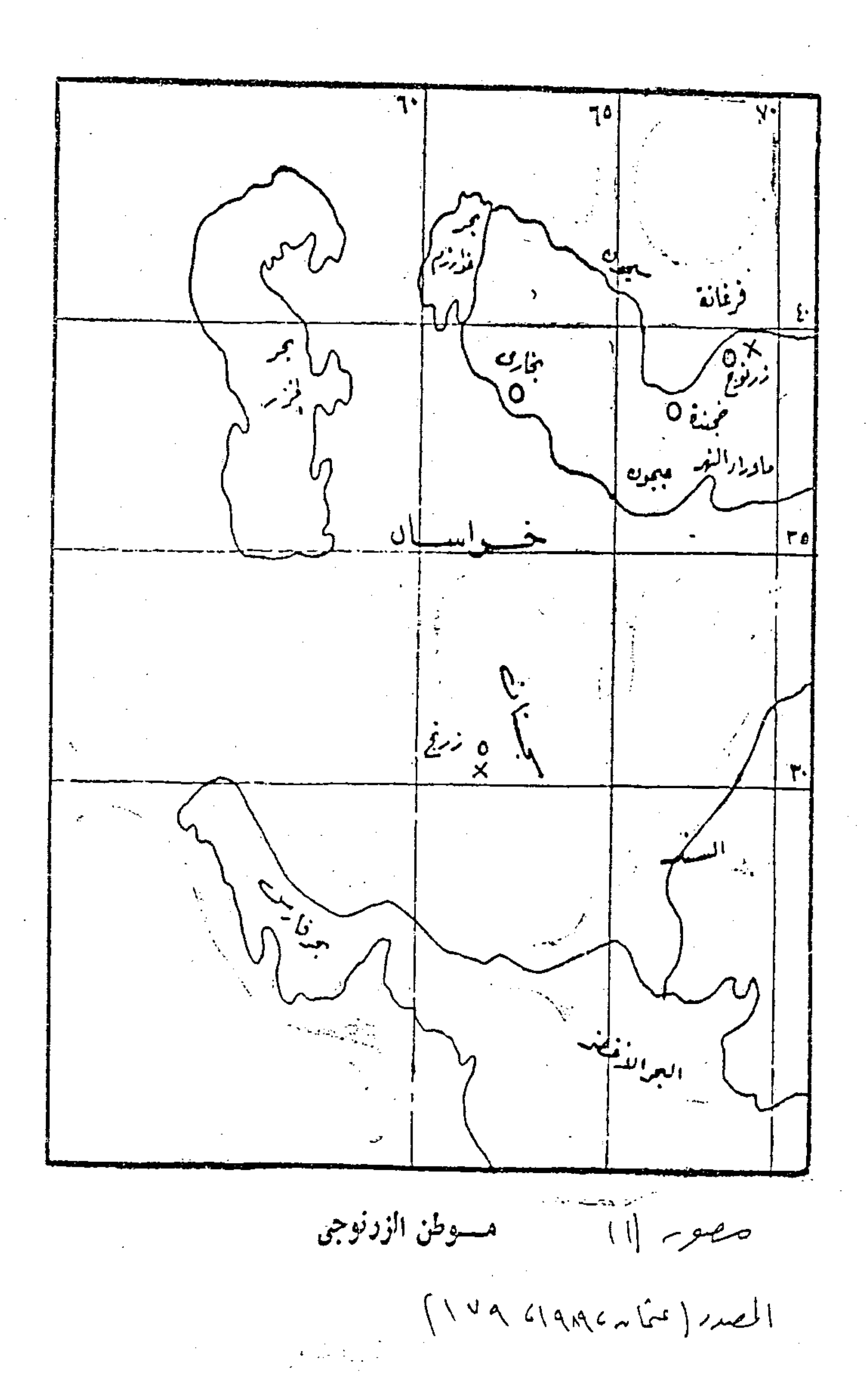
أولاً: إن كتب التراجم والبلدان ذكرت أن هناك بلدتين ((زُرْنوج)) و ((زَرَنْج)) تقعان في مكانين مختلفين. فزَرَنْج بلدة في إقليم سجستان، وقد نُسب إليها بعض العلماء، منهم أبو الطيب طاهر بن محمد الزَّرَنْجي. وأما زُرْنوج فهي بلدة من بلاد ما وراء النهر، تقع في الشمال، بالقرب من فرغانة بلد المرغيناني شيخ الزُّرْنوجي.

وقد أكدت كتب التراجم والبلدان والتاريخ أن زَرَنْج بلدة في سجستان فذكر ذلك صاحب وفيات الأعيان: ((زَرَنْج: وهي بفتح الزاي والراء وسكون النون، وبعدها جيم، وهي كرسي بلاد سجستان)) [ابن خلكان، د.ت، ٤٠٤/٦]. وقال صاحب الأنساب: ((فمدينة زَرَنْج هي ناحية بسجستان، ونسب إليها علماء منهم، أبو الطيب طاهر الزَّرَنْجي بن محمد الزَّرَنْجي)) [السمعاني، ١٩٩٨، ١٤٩/٣]. وذكر مثل ذلك أيضاً ابن خلدون في تاريخه [ابن خلدون، ١٩٨٤، ٥٨٠/٢]، واليعقوبي في تاريخه أيضاً [اليعقوبي، د.ت، ١٦٦/٢]، والطبري في تاريخه، [الطبري، د.ت، ٦٤١/٣]، والبلاذري في فتوح البلدان [البلاذري، ١٤٠٣هـ، ٣٨٦/١]، والحموي في معجم البلدان [الحموي، د.ت، ١٧/٣، ١٩٠]، والشيباني في الكامل في التاريخ [الشيباني، ١٤١٥هـ، ٤٤٣/٢]، الحسني في كتابه نزهة المشتاق [الحسني، ١٩٨٩، ٤٥٦/١]، والذهبي في سير أعلام النبلاء [الذهبي، ١٤١٣هـ، ٢٢١/١٣].

ثانياً: إن قواعد النسب في اللغة ترجح نسبة الزُّرْنوجي إلى زُرْنوج وليس إلى زَرَنْج أو زَرْنَج، لأن مقتضى نسبة زَرَنْج زَرَنْجي، وزَرْنَج زَرْنجي. ويؤكد ذلك أيضاً نسبة بعض العلماء غير برهان الإسلام الزُّرْنوجي إلى زُرْنوج، كالشيخ الحنفي النعمان بن إبراهيم بن الخليل، تاج الدين

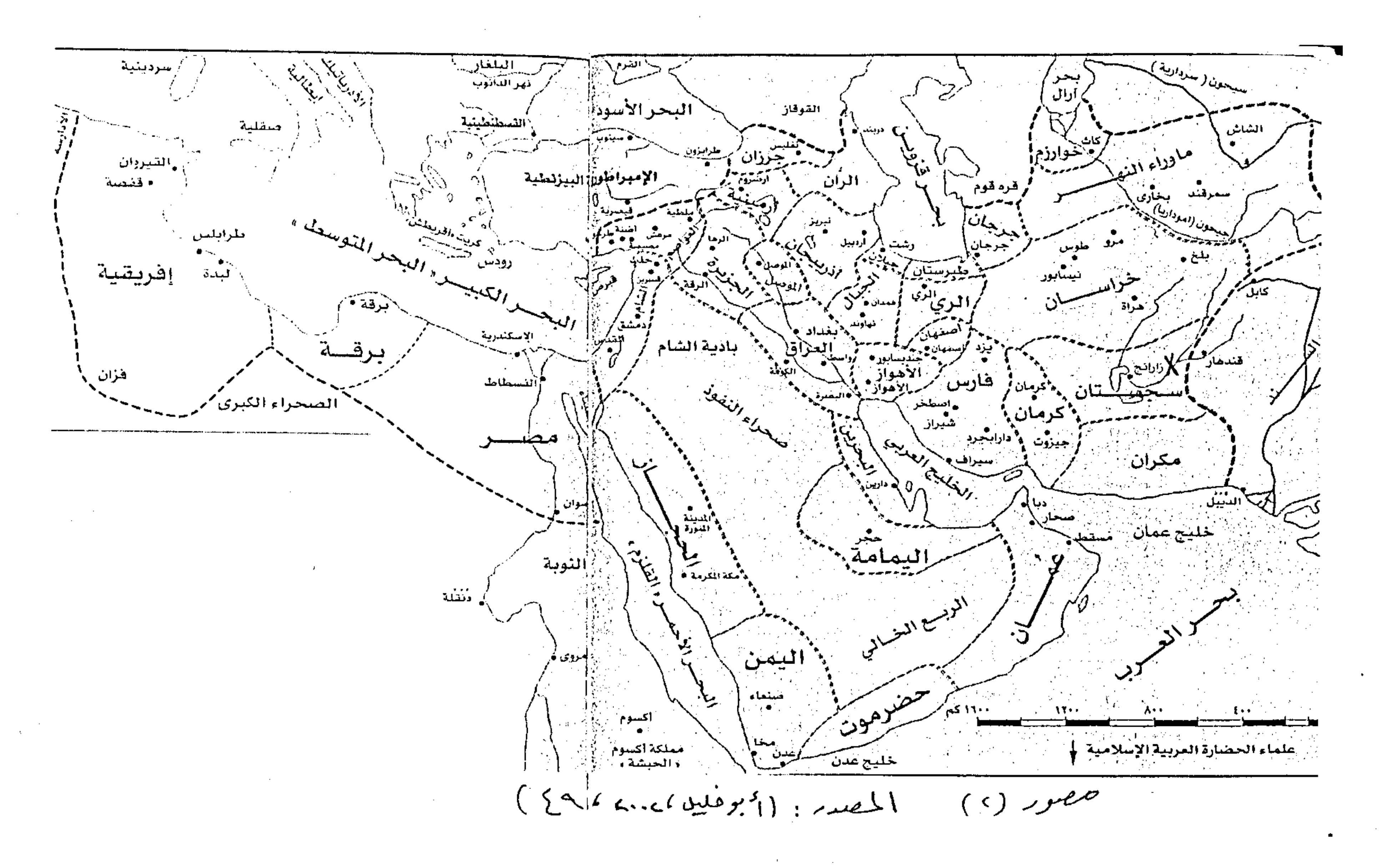
الزَّرْنُوجي، المتوفى سنة أربعين وستمئة في بخارى [قطلوبغا، ١٩٩٢، ٢٧٨]. ونسبة بعض العلماء إلى زَرَنْج، كالشيخ طاهر بن محمد الزَّرَنْجي (السمعاني، ١٩٩٨، ٣/١٤٩)(*).

(*) ينظر المصور رقم (١) و(٢).



مصور (١) موطن الزرنوجي

المصدر (عثمان، ١٩٨٢، ١٧٩)



مصور (٢) المصدر : (أبو خليل ٢٠٠٦م، ٤٩)

٣/١- ولادته ونشأته ووفاته

إن كتب التراجم التي مرّ ذكرها، والتي تعرضت لحياة الزُّرْنُوجي ، سكتتْ عن ذكر تاريخ ولادته وأحوال نشأته، ووفاته، لذلك يصعب على الباحث تحديد الفترة التي عاش فيها الزُّرْنُوجي، ولكن يمكن القول: إن الزُّرْنُوجي عاش في آواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري، وأن وفاته تنحصر بين سنة ٥٩٣هـ /١١٩٧م-٦٢٠هـ/١٢٢٣م؛ لأن المستشرق (الوارد ALWARD) جعل الزُّرْنُوجي من أهل الطبقة الثانية عشرة من طبقات الحنفية، أي: من طبقة النعمان بن إبراهيم الزُّرْنُوجي المتوفى سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م (العمايرة، ٢٠٠٠م، ٢٩٢). والثابت أن وفاته كانت بعد سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م، لأنها السنة التي توفي فيها شيخه المرغيناني الذي ذكره الزُّرْنُوجي وترحم عليه (الزُّرْنُوجي، ٤٥). وليست سنة وفاته ٥٩١هـ/١١٩٥م كما ذكر الأهواني: ((الأهواني، ١٩٥٥، ٢٣٩)). قال الزُّرْنُوجي: ((وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يحكي عن شيخ من المشايخ)) [الزُّرْنُوجي، ٤١، ٤٥].

٤/١- أساتذته

مرّ سابقاً أن المصادر سكتت عن حياة الزُّرْنُوجي، ومراحل تلقيه العلم، لذلك فإن المصدر الرئيس الذي يعتمده الباحث في التعرف على شيوخ الزُّرْنُوجي، وأساتذته هو كتابه (تعليم المتعلم طريق التعلم))، حيث ذكرهم فيه، ونقل عنهم أقوالاً، وكلهم من علماء الحنفية، وهم:

١ - برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، نسبة إلى بلدة مَرْغِينان، من بلاد فرغانة، المتوفى سنة ٥٩٣هـ /١١٩٧م، من كبار فقهاء الحنفية، له مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب ((الهداية)) في الفقه الحنفي. [اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ١٤١، ١٤٢]. وقد ذكره الزُّرْنُوجي في مواضع عدة من كتابه: [الزُّرْنُوجي، ٢٨].

٢ - ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده، الـجُـوغي نسبة إلى بلدة جُوغ قرية من قرى سمرقند، مفتي أهل بخارى، فقيه، وأديب، وشاعر، توفي سنة ٥٧٣هـ /١١٧٧م،

له مؤلفات عدة، أشهرها كتاب شرعة الإسلام[اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ١٦١]. ذكره الزُّرْنُوجي في كتابه [الزُّرْنُوجي، ٩١].

٣ – قوام الدين حماد بن إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن إسحاق، ابن الإمام ركن الدين إبراهيم الصفّار، ولد في بخارى سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، وتوفي في سمرقند سنة ٥٧٦هـ /١١٨٠م. [اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ٦٩. التميمي، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣، ١٨٢]. [الزُّرْنُوجي، ٢٩، ٦٩].

٤ – فخر الدين مسعود بن الحسين الكاشاني أو الكشتاني نسبة إلى الكشتانية بلدة في نواحي سمرقند. [اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ٢١٣] [الزُّرْنُوجي، ٧٤].

٥ – فخر الدين الحسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني، المعروف بقاضي خان، له مؤلفات كثيرة، منها: الفتاوى، وشرح الجامع الصغير، وشرح الزيادات، وشرح أدب القاضي للخصاف، توفي سنة ٥٩٢هـ /١١٩٦م. [قطلوبغا، ١٩٩٢، ٨٩]. [الزُّرْنُوجي، ٤٥، ٨٣].

٦ – الأديب المختار، ركن الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرغاني، فقيه، وأديب، وشاعر، توفي سنة ٥٩٤هـ /١١٩٨. [الزركلي، ١٩٨٤، ١٤٢]. [الزُّرْنُوجي، ٣٠، ٩٤].

٧ – ظهير الدين أبو المحاسن الحسن بن علي بن عبد العزيز بن عبد الرزاق بن أبي النصر المرغيناني. [اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ٦٢]. [الزُّرْنُوجي، ٥٨].

٨ – سديد الدين الشيرازي. [الزُّرْنُوجي، ٥١].

١/٥- طلبه للعلم وثقافته ومؤلفاته

إن الكتب التي تعرضت لحياة الزُّرْنُوجي لم تذكر شيئاً عن مراحل نشأته، وطلبه للعلم، غير أنه يمكن القول: إن الزُّرْنُوجي شأنه شأن أي عالم، طلب العلم في بداية حياته في الكُتَّاب، حيث كانت الكتاتيب شائعة في عصره، ولا يكاد يخلو إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية منها.

ولما كان الزُّرْنُوجي قد تلقى العلم من لدن كبار علماء الحنفية في عصره، من أمثال: برهان الدين المرغيناني، وقاضي خان وغيرهما في سمرقند وبخارى اللتين ازدهرت فيهما الحياة العلمية، نبغ منهما أكابر العلماء، وفحولهم، فإن هذا يعني أن الزُّرْنُوجي قد تلقى أنواعاً عدة من الثقافات، من أهمها الثقافة العربية والإسلامية التي تلقاها في الكتاتيب التي تُعلِّم الناشئة آنذاك القراءة، والكتابة،والقرآن، واللغة، والشعر، والنحو، والفقه، وعلوم القرآن، والحديث. هذه العلوم التي تلقاها أثرت فيه، وجعلت منه علماً من كبار فقهاء الحنفية.

ويبدو أن الزُّرْنُوجي قد أضاف إلى ثقافته العربية والإسلامية الثقافة الفارسية والهندية، بحكم نشأته في هذه الأقاليم وقربه منها، فقد كان يجيد اللغة الفارسية، ويظهر ذلك في كتابه حينما يورد شعراً، وحكماً في اللغة الفارسية كقوله: [الزُّرْنُوجي، ٣٨].

ياربـد بدتـر بو داز ماربـد	حق ذات باك الله الصمـد
ياربد آرد تراسـوي جحيـم	ياربتكو توكيرتا يابي نعيـم

ومعناه بالعربية: ((إن الصاحب السيئ أشد ضرراً من الحية الرقطاء؛ لأنه يمنح صاحبه السيئ الأمان بينما يحترز من الحية)) [العطا، ١٩٩٨، ٣٨هامش].

إن ما تقدم يدعو الباحث إلى القول: إن الزُّرْنُوجي ((تثقف بالتراث العربي والإسلامي، القائم على اللغة والشعروالأدب، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، وبخاصة الحنفي، بجانب الثقافة الفارسية بما فيها من حكمة، وفلسفة، ومنطق وفلك (...) لقد تحصل للزرنوجي مقدار لا يستهان به من العلوم والثقافات على اختلاف فنونها، وكان يكتسب هذه العلوم إما

معتمداً على نفسه في البحث والتنقيب والإطلاع، وإما يتملاها من شيوخ عصره كل حسب اختصاصه)) [أحمد، ١٩٨٦، ١٧].

٢- عصر الزُرْنُوجي

٢/١- الحالة السياسية

إن الفترة التي عاش فيها الزُرْنُوجي تمتد بين العصر العباسي الرابع (عصر السلاجقة) والعصر العباسي الخامس (عصر النفوذ المغولي)، وفي هذه الفترة ظهر الغزو المغولي، والحملات الصليبية.

يبدأ العصر السلجوقي من قيام الدولة السلجوقية، وتسلمها أمور الحكم من سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م إلى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهي السنة التي استولى فيها المغول على معظم البلاد الإسلامية. وتنسب الدولة السلجوقية إلى سلجوق، وهو أحد أمراء الأتراك، وكانت بداية أمرهم في إيران سنة ٤٢٨هـ /١٠٣٦م، وبقيت الدولة السلجوقية في إيران حتى سنة ٥٩٠هـ /١١٩٣م، ثم تفرع عنها ممالك عدة، من أهمها: الدولة السلجوقية بأسيا الصغرى (بنو قطلمش) من سنة ٤٥٦هـ /١٠٦٣م إلى سنة ٧١٨هـ /١٣١٨م، وقضى عليها العثمانيون. والدولة البُورِيّة في الشام وحلب (بنو تش بن ألب أرسلان) من سنة ٤٧١هـ /١٠٧٨م إلى سنة ٥٤٩هـ /١١٥٤م، وقضى عليها نور الدين محمود بن زنكي. ودولة الشاهات بأرمينية من سنة ٥٠٢هـ /١١٠٨م إلى سنة ٦٠٤هـ /١٢٠٧م، وقضى عليها الأيوبيون. [أبو خليل، ٢٠٠٢، ٦٤].

ومن أهم الأحداث السياسية في عصر الزُرْنُوجي والإقليم الذي عاش فيه، ظهور الدولة الغزنوية، بأفغانستان والهند، والتي امتدت من سنة ٣٦٦هـ /٩٧٦م إلى سنة ٥٧٩هـ /١١٨٢م، وأسسها سبكتكين، واتخذ غزنة عاصمة لها. [أبو خليل، ٢٠٠٢، ٦٣]. وظهور الدولة الغورية التي ورثت الدولة الغزنوية في أفغانستان والهند، وأسسها محمد حسين الغوري، وحكمت بلاد أفغانستان وهندستان من سنة ٥٤٣هـ /١١٤٨م إلى سنة ٦١٣هـ /١٢١٦م، [أبو خليل، ٢٠٠٢، ٦٣].

وامتازت الدولة الغزنوية في هذا العصر بأن سلاطينها كانوا من السنة المتشددين الذين حاربوا أهل الأهواء، والبدع؛ كالمعتزلة، والقرامطة، وغيرهم. وكانوا يشجعون الثقافة والفن، ويغدقون على الشعراء والكتاب والعلماء. واهتم محمود الغزنوي بدراسة الحديث النبوي، وغيره من علوم الدين، وعملوا على نشر الإسلام، فأنفقوا جلّ وقتهم في فتح بلاد الهند والأفغان (الغور)، وامتدت بلادهم من الأهواز إلى سمرقند وأصبهان، [حسن، ١٩٦٥، ٣/١٠٢].

ومن أهم الأحداث أيضاً في هذا العصر انحسار الخلافة الإسلامية عن معظم بقاع الأندلس، واسترداد الإفرنج الأندلس، وسقوط الدولة الفاطمية الشيعية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وقيام الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي، الذي تحمل مسؤلية الدفاع عن الإسلام في بلاد الشام ضد الصليبيين خاصة، فوقف في وجههم وانتصر عليهم في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م .[شاكر، ١٩٨٧، ٥/٣٣٢]. ومن ثم ظهر المغول بقيادة جنكيز خان الذي هاجم الدولة الإسلامية في بداية القرن السابع الهجري، فاستولى على مدنها، وحرّق مكتباتها، وقتل أهلها، فسقط الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية. ثم ظهر هولاكو من نسل جنكيز خان، الذي فتح بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وأطفأ منارة الحضارة الإسلامية التي امتدت لأكثر من خمسة قرون. [شاكر، ١٩٨٧، ٥/٢٢٠].

٢/٢- الحالة الاجتماعية

إن الفرد جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، يتأثر بما يجري في هذا المجتمع من أحداث؛ سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية .... ويمكن الإشارة إلى أهم الظواهر الاجتماعية في عصر الزَّرْنُوجي (العصر السلجوقي)، فقد انقسم المجتمع الإسلامي إلى طبقات عدة، هي: [آل عبد الله، ١٤١٦هـ، ١٥-١٦].

٢/٢/١ – الطبقة الخاصة: وهي طبقة الخليفة وذويه، وخاصته، ومن هذه الطبقة رجال الدولة، من الأشراف والوزراء، والقضاة، والعلماء، والشعراء، والأدباء، وهؤلاء يرعون شؤون الدولة.

٢/٢/٢ – الطبقة العامة: وتتكون من أهل الصنائع، والحرف، والتجار، والفلاحين، وهؤلاء يشكلون السواد الأعظم من الناس، وهذه الطبقة مؤلفة من جنسيات، وأعراق مختلفة- ولاسيما في بغداد- من العرب، والبربر، والفرس، والأرمن، والأكراد، ... الخ.

٣/٢/٢ – أهل الذمة: وهم الخواص من غير المسلمين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، وسمّوا بأهل الذمة، لأن لهم عهد الله ورسوله وجماعة المسلمين في أن يعيشوا بين ظهرانيهم وفي حمايتهم، فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. فالذمة تعطي أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الراهن ((الجنسية)) التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون حقوق المواطنين، ويلتزمون بواجباهم. وكان أهل الذمة يقيمون شعائرهم الدينية في أمْن ودَعَة، حتى بلغ من تسامح المسلمين معهم أن يحضر بعض الخلفاء أعيادهم. [حسن، ١٩٦٥، ٣/٤٢٥].

٤/٢/٢ – الرقيق: وهم الأسرى الذين أسرهم المسلمون في أثناء الحروب، وكانوا يشكلون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الإسلامي. وكانت مصر وشمال أفريقيا وشمال جزيرة العرب من أهم أسواق الرقيق الأسود. وتعد سمرقند من أكبر أسواق الرقيق، إذ كانت بيئة صالحة لتربية الرقيق المجلوب من بلاد ما وراء النهر. [حسن، ١٩٦٥، ٣/٤٢٤-٤٢٥].

٣/٢- الحالة الاقتصادية

من المعروف أن العباسيين اهتموا بفروع النشاط الاقتصادي المختلفة؛ من زراعة، وصناعة، وتجارة. فركزوا على الزراعة، وتنظيم أساليب ري الأراضي الزراعية، وجني محصولاتها الكثيرة التي اشتهرت بها الأقاليم الإسلامية، مثل: الحنطة، الذرة، والأرز، الكروم، والفواكه، والزيتون. واشتهرت بلاد الأفغان بزراعة قصب السكر، والهند بزراعة التوابل، وبلاد ما وراء النهر بصناعة الملابس، والفرش الصوفية، وزراعة القطن.

لم يقتصر اهتمام العباسيين على الزراعة والصناعة فحسب، بل وسّعوا اهتمامهم ليشمل التجارة، وسبل تنميتها. فقد بنوا الأساطيل لحماية السواحل من لصوص البحار، وفتحوا الطرق التجارية التي تربط بين المشرق والمغرب، واعتنوا بالتجارة الداخلية والخارجية. ومن أشهر هذه الطرق- ولاسيما في إقليم الزُّرْنوجي- الطريق الذي يربط بلاد الروس الشمالي إلى المشرق عن طريق بحر قزوين، ثم مرو، فبلخ، وبخارى، وسمرقند، ببلاد ما وراء النهر، ومنها إلى الصين. ثم إن فتوح محمود الغزنوي (٣٨٨هـ/٩٩٨م -٤٢٢هـ/١٠٣١م)في بلاد الهند كان لها أثر كبير في رواج التجارة. [حسن، ١٩٦٥، ٣/٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٩].

فعلى الرغم من هذا الاهتمام بالنشاط الاقتصادي، وفروعه إلا أنه مازالت الطبقة الخاصة تتمتع بالغنى الفاحش على حساب الطبقة العامة التي تعاني غالباً من الفقر. وتميّزت عهود بعض الخلفاء العباسيين، كالمستضيء بنور الله (٥٦٦هـ/١١٧٠م-٥٧٥هـ/١١٧٩م) والناصر لدين الله (٥٧٥هـ/١١٧٩م - ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) بالأمن والرخاء الاقتصادي، والاستقرار. [شلبي، ١٩٦٠، ٤/٤٥٠].

٤/٢- الحالة العلمية

ازدهرت الثقافة الإسلامية منذ بداية القرن الثاني الهجري، بسبب انتشار الترجمة من اللغات الأجنبية، ولاسيما اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية، وتشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء، ورجال العلم، والتقدم العمراني في الأقاليم الإسلامية، واتساع أفق المفكرين المسلمين بارتحالهم في مشارق الأرض ومغاربها طلباً للعلم. ومن ثَمَّ ظهرت مراكز عدة للثقافة، جذبت إليها طلاب العلم من شتى الأقاليم، فوجدت مراكز ثقافية في أصبهان، والبلاط السامانى في بخارى، وبلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير في طبرستان القريبة من بحر قزوين، وبلاط محمود الغزنوي في غزنة الذي تمتع بشهرة واسعة، ونقل كثيراً من المؤلفات إلى غزنة. [حسن، ١٩٦٥، ٣/٣٣٢-٣٣٤].

بالإضافة إلى العوامل السابقة وجدت عوامل أخرى أدت إلى ازدهار الحالة العلمية، حيث تعددت مجالس العلم، وتنوعت، واتسع نطاق المناظرات التي جرت بين العلماء في الأماكن

المختلفة؛ كالمساجد، والأسواق، والبيوت، والقصور. وانتشرت المكتبات العامة والخاصة بشكل واسع في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية؛ ففي بغداد أنشأ الخليفة العباسي هارون الرشيد مكتبة دار الحكمة، وهي أول مكتبة عامة، ثم طورها من بعده ابنه الخليفة المأمون، فظلت عامرة حتى مجيء التتار سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وفي الأندلس أنشأ المستنصر مكتبة قرطبة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وكان من هواة جمع الكتب، إذ جمع فيها الكتب من شتى الأقاليم حتى بلغت كتبها حوالي أربعمئة ألف مجلد.

وفي منتصف القرن الثالث الهجري ظهرت مكتبات الأفراد، مثل: مكتبات الحكام، والعوام (الخاصة). فقد كان لسيف الدولة الحمداني في حلب المتوفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م خزانة كتب البويهي في شيراز. [عناية، ١٩٩٠، ٢٥١-٢٥٢. حسن، ١٩٦٥، ٣/٣٣٦-٣٣٧].

ومما يميّز هذا العصر الذي عاش فيه الزَّرْنُوجي انتشار المدارس في القرنين السادس والسابع الهجريين، فنشأت المدرسة الصادرية الحنفية في دمشق سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م، والمدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك وزير ملك شاه السلجوقي، وبُدِئ التدريس فيها سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م في بغداد، ودعا إليها كبار العلماء للتدريس فيها؛ كالغزالي. وأنشئت مدارس في الناحية الشرقية من الدولة الإسلامية، أي: في العراق وخراسان، وقد غطت هذه المدارس المدن الآتية: بغداد، وبلخ، ونيسابور، وهراة، وأصفهان، والبصرة، ومرو، والموصل، وطبرستان. وفي القاهرة لم تؤسس المدارس إلا في عهد صلاح الدين الأيوبي، فكانت المدرسة الناصرية أول مدرسة أحدثت في الديار المصرية، وبدأ بها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م . [عبدالغني، ١٩٩٣، ٨٩، ٩٠، ٩٦].

٣- كتاب الزَّرْنُوجي ((تعليم المتعلم طريق التعلم))

٣/١- تاريخ تأليف الكتاب

إن كتب التراجم التي ترجمت للزرنوجي، وذكرت كتابه الوحيد ((تعليم المتعلم طريق التعلم))، والتي مرّ ذكرها سابقاً، لم تذكر وقتاً محدداً لتأليف الكتاب. ويمكن القول: إن الزَّرْنُوجي

ألف كتابه في أواخر القرن السادس الهجري أو أوائل القرن السابع الهجري، ولكن ((تيودور أبل، وفون جرينباوم)) ((The odora Able and Gruneb-aum))، قد حددا تاريخ تأليف الكتاب لعام ٥٩٩هـ /١٢٠٣م [عثمان، ١٩٨٩، ١٨١]. والذي يدل على ثبوت تأليفه بعد سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م أن الزُّرْنُوجي ذكر مشايخه في كتابه، وترحم عليهم، ومنهم شيخه برهان الدين المرغيناني الذي توفي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م.

٢/٣- محتوى الكتاب

جعل الزُّرْنُوجي كتابه ((تعليم المتعلم طريق التعلم)) في ثلاثة عشر فصلاً، بالإضافة إلى خطبة الكتاب أو مقدمته، ورتب هذه الفصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: في ماهية العلم والفقه وفضله.

الفصل الثاني: في النية حال التعلم.

الفصل الثالث: في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات.

الفصل الرابع: في تعظيم العلم وأهله.

الفصل الخامس: في الجِدِّ والمواظبة والهمّة.

الفصل السادس: في بداية السَّبْق وترتيبه وقَدْره.

الفصل السابع: في التوكل.

الفصل الثامن: في وقت التحصيل.

الفصل التاسع: في الشفقة والنصيحة.

الفصل العاشر: في الاستفادة.

الفصل الحادي عشر: في الورع حال التعلم.

الفصل الثاني عشر: فيما يُورث الحفظ، وفيما يورث النِّسيان.

الفصل الثالث عشر: فيما يجلب الرزق، وما يمنعه، وما يزيد في العمر، ومآ ينقصه.

وختم كتابه بقوله: ((والحمد لله على التمام، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الرسل الكرام، وآله وصحبه الأئمة الأعلام، على ممرّ الدهور، وتعاقب الأيام. آمين)).

ويلاحظ أن موضوعات الكتاب تدور حول التعلم، وطرائقه، وشرائطه، استجابة لحاجة المتعلمين إلى إزالة ما يعترضهم من عقبات وصعوبات تعوق تعلمهم، وحاجتهم إلى طرائق تنمي تعلمهم، لذلك جاءت موضوعات الكتاب محققة للغرض من تأليفه، ومراعية للمنهج الذي رسمه المؤلف لنفسه دون استطراد، في مقدمة كتابه عندما قال: ((فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زماننا يجدّون إلى العلم، ولا يصلون، ومن منافعه، وثمراته يحرمون، لِمَا أنهم أخطؤوا طرائقه، وتركوا شرائطه، وكل من أخطأ الطريق ضلّ، فلا ينال المقصود، قلّ أو جلّ، أردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعليم)) [الزُّرْنُوجي، ١٧].

٣/٣- أهمية الكتاب

يمكن النظر إلى أهمية الكتاب من زوايا عدة:

١ - يعد الكتاب من أوائل المصنفات التربوية الإسلامية، القليلة التي أسهمت في بيان موضوع التعلم، وطرقه، وشرائطه، ومبادئه، حتى إن بعض الباحثين في التربية الإسلامية يعدونه أحد وأهم كتابين في التربية الإسلامية، طرحت موضوعات تربوية. والكتابان هما: كتاب الزُّرْنُوجي ((تعليم المتعلم طريق التعلم)) وكتاب القابسي: ((الفضيلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين)). [الأهواني، ١٩٧٥، ٢٠٩].

٢ - عنوان الكتاب ((تعليم المتعلم طريق التعلم)) لم يكن شائعاً في عناوين المصنفات العربية والإسلامية القديمة، بالإضافة إلى أنه يحمل دلالة تربوية معاصرة. ((إن العنوان يعكس اتجاهاً عميقاً، وأصيلاً، ومتميزاً عند الزُّرْنُوجي، عبر عنه بتوكيده أنه يهدف إلى أن يتعلم المتعلم طريق التعليم، أو كما نقول في اصطلاحنا الحديث في علم نفس التعلم أن غاية التعلم أن

يتعلم المتعلم كيف يتعلم، أو كيف يعلم نفسه. وهذا ما قصد إليه الزُّرْنُوجي من وضعه هذا العنوان لكتابه. فالأصل في التعلم عنده أن يتعرف المتعلم طرائق التعلم، وشرائطه، ليصبح معلم نفسه؛ أي أن كل ما نعلمه إيّاه، أونعلمه معه هوأن نضعه بثبات على طريق التعلم)) [عثمان، ١٩٨٨، ١٨٤].

٣ – تميّز الكتاب بصبغة عملية، ونظرة تكاملية إلى المتعلم. فالصبغة العملية تمثلت في أن الزُّرْنُوجي كان معلماً ومربياً، ولاحظ سلوك المتعلمين، وصعوبة تعلمهم، وانصرافهم عن التعلم، وحاول أن يضع علاجاً لهذه المشكلة التي أحس بها، واستمد هذا العلاج من خبرته، وخبرات العلماء السابقين النظرية والعملية. ويتجلى هذا واضحاً بالنص الذي مرّ ذكره قبل قليل الذي حدد فيه الزُّرْنُوجي سبب تصنيفه الكتاب.

وأما النظرة التكاملية إلى المتعلم، فقد تناول الزُّرْنُوجي شخصية المتعلم من جوانبها المختلفة؛ الانفعالية، والعقلية، والصحية، والاجتماعية. فالانفعالية برزت عندما تحدث الزُّرْنُوجي عن العلم وفضله، وتعظيم أهله، والفهم، والحفظ، والنسيان ...الخ. والصحية تمثلت في نصائح قدّمها الزُّرْنُوجي للمتعلم من أجل العناية بصحته، وسلامة بدنه. والاجتماعية أظهرها الزُّرْنُوجي حينما ربط المتعلم بمجتمعه، ودعاه إلى عدم العزلة عنه، وضرورة اختيار الصحبة الصالحة، وسيأتي الحديث عن هذه الجوانب المختلفة في مضمون الرسالة.

ويلاحظ أن النظرة التكاملية إلى المتعلم، والتي اهتم بها الزُّرْنُوجي، قد دعا إليها المربي البلجيكي أوفيد دوكرولي (١٨٧٢-١٩٣٢) الذي اهتم بتربية المتعلم خلقياً، ووجدانياً، واجتماعياً، وجسمياً، وعقلياً. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٦٠].

٣/٤– شروح الكتاب ومخطوطاته وطبعاته

لقي الكتاب عناية فائقة لدى الباحثين، فحظي بشروح عدة، منها: شرح إبراهيم بن إسماعيل الذي فرغ من تأليفه سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م.[عثمان، ١٩٨٨، ١٨١]. إن كثرة الشروح تزيد من الإقبال على الكتاب، وطلبه، من أجل فهمه، والإفادة منه.

أما مخطوطات الكتاب ونسخه فكثيرة، ففي دار الكتب المصرية بالقاهرة يوجد أكثر من إحدى عشرة مخطوطة، وفي دار الكتب الوطنية بتونس يوجد أربع مخطوطات. وفي بيروت في مكتبة الأستاذ زهير الشاويش يوجد ثلاث مخطوطات، وفي بغداد والنجف، وإنجلترا، وفرنسا يوجد مخطوطات للكتاب. [أحمد، ١٩٨٦، ٢٩-٣٠].

وأما طبعات الكتاب فكثيرة أيضاً، فقد وصلت إلى أكثر من عشرين طبعة. [أحمد، ١٩٨٦، ٣٠-٣١] فقد طبع في:

- ألمانيا سنة ١٧٠٩م.
- وليبزيج سنة ١٨٣٨م.
- ومرشد آباد سنة ١٨٥٢م.
- وتونس سنة ١٨٦٩م.
- ومصر سنة ١٨٨٣م، وأعيد طبعه بمصر أيضاً سنة ١٨٩١م.
- وأعيد طبعه في الأستانة (استانبول) سنة ١٨٩١م وسنة ١٩١٤م.
- وقازان سنة ١٨٩٨م، وأعيد طبعه فيها سنة ١٩٠١م. (أحمد، ١٩٨٦، ٣٣-٣٤).ثم توالت طبعات الكتاب وتحقيقاته، منها تحقيق:

- مصطفى عاشور سنة ١٩٨٦م في مكتبة القرآن بمصر.
- الدكتور محمد عبد القادر أحمد سنة ١٩٨٦م في القاهرة.
- الأستاذ عبد الجليل العطا سنة ١٩٩٨م بدار النعمان في دمشق، ويعد هذا التحقيق من آخر تحقيقات الكتاب وأفضلها، فقد زود المحقق الكتاب بتعليقات طيبة، وفوائد عظيمة، وشرح مبسط لمصطلحات الكتاب، وتعريف موجز للأعلام الواردة فيه.

وأما ترجمات الكتاب، فقد تعددت أيضاً، حيث تُرجم إلى اللغة اللاتينية، والتركية، والفرنسية سنة١٩٣٨م، والإنكليزية سنة ١٩٤٧. [أحمد، ١٩٨٦، ٣٤].ء

الفصـــل الثالث

مبـــادئ التعلـــم عنـــد الزُّرْنُوجي

١- مقدمة

يولد الإنسان ضعيفاً لا يقدر على شيء، وجاهلاً لا يعرف شيئاً، ثم يمدُّهُ اللهِ عز وجل بالقوى التي تؤهله ليقوى ويتعلم. قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨]، ومن ثَمَّ يبدأ الإنسان رحلته بالتعلم في أثناء مراحل نموه المختلفة، فيتعلم المهارات، والمعارف، ويتمكن من التكيف مع البيئة المحيطة به، ويستطيع مواجهة المشكلات التي تعترضه في حياته.

تضمن فكر الزُّرْنُوجي آراء عدة حول التعليم والتعلم التي استمدها من مصادر التربية الإسلامية، ومن تجاربهِ الشخصية في مجال التعليم، وسيعرض الباحث أهم مبادئ التعلم التي نادى بها، ودعا إلى مراعاتها لتحقيق أفضل نتائج التعلم، ومن ثَمَّ بيان مصادر هذه المبادئ من الشريعةِ الإسلاميةِ، ومقارنتها بالفكرِ التربوي عند الحاجة.

٢-مبادئ التعلم

٢/١- إلزاميـــــة التعلـــــم

تهتم الدول بالتعليم الإلزامي المجاني، وتنفق في سبيله أموالاً طائلة، وتعلق عليه الآمال من أجل تقدمها، والكشف عن مواهب أبنائها وقدراتهم لتنميتها، وتأثيره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

في القرن الثامن عشر ظهر ما يسمى بالتعليم الجماهيري في المستعمرات الأمريكية الشمالية، وفي بعض المقاطعات السويسرية، ومعظم الأقاليم النمساوية، وعدد من الولايات الألمانية، قبل نشأة فكرة الإلزام في النظم التعليمية. وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ظهر التعليم الإلزامي في أوربا الغربية، وأمريكا اللاتينية فيما بعد. [مرزا، ٢٠٠١، ٦٣-٦٤].

وقد جعلت تلك الدول هذا التعليم عاماً يشمل أبناءها جميعاً، ذكوراً وإناثاً، ولم تكتف بجعل مدة الإلزام تشمل المرحلة الابتدائية فحسب، بل زادت بعض الدول من تلك المدة التي أصبحت تشمل المرحلة الإعدادية، وجانباً من المرحلة الثانوية، أو المرحلة الثانوية بأكملها كما هو الحال في بعض مقاطعات أمريكا الشمالية. وتُعدّ سن الرابعة عشرة الحد الأدنى لمرحلة التعليم الإلزامي في أكثر البلاد الغربية [فهمي، ١٩٥٥، ٤].

ثم اتخذ مفهوم التعليم الإلزامي شكلاً ومضموناً جديداً في عدد من الدولة النامية تحت مسمَّى التعليم الأساسي، حيث استعمل هذا المصطلح بمفاهيم مختلفة تاريخياً، فكان يشير إلى المرحلة الإلزامية، أو الحلقة الأولى منه في الدول المتقدمة التي طبقته أمريكا وأوربا في القرن التاسع عشر. واستُعمل في الثلاثينيات من القرن العشرين على يد ((غاندي)) السياسي والمربي الهندي، الذي دعا إلى تربية الطفل الهندي تربية أساسية تتضمن أعمالاً نافعة تجعله منذ بداية تعلمه عضواً منتجاً في المجتمع، يستمر في تعلمه، ونموه، فلا يقف عند تعلم القراءة والكتابة والحساب. [رحمة، ١٩٩٢، ٨].

جاءت الدعوة إلى مجانية التعليم في المرحلة الابتدائية على الأقل في المادة (٢٦) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م ودعا المربون في الوطن العربي إلى جعل التعليم مجانياً في المرحلة الابتدائية على الأقل منذُ عام ١٩٥٠م [مرزا، ٢٠٠١، ٥٩] وجُعل التعليم مجانياً في الجمهورية العربية السورية عام ١٩٥٨م في القرار الوزاري رقم: (٥٦٥) تاريخ: ٢٢/١٠/١٩٥٨م، في المادة الثانية التي نصت على أن ((التعليم في المرحلة الابتدائية إلزامي، ومجاني، ومدته ست سنوات)). [دغوظ، ١٩٨٢، ١٨] وارتفعت مدة إلزامية التعليم ومجانيته لتصل إلى تسع سنوات.

ويُقصد بالتعليم الإلزامي ((أن تأخذ الدولة على عاتقها نشر التعليم، وتيسيره لكل الأطفال الذين هم في سن التعليم، وتوفير مستلزماته؛ من أبنية وتجهيزات ولوازم، ومعلمين، وكتب، وما إليها، وأن تسن الدولة التشريعات التي تلزم الآباء بإرسال أولادهم إلى المدارس متى بلغوا سن التعليم، وأن تضمن هذه التشريعات الغرامات والعقوبات الرادعة التي تحول دون امتناع الأهل عن إرسال أولادهم إلى المدارس)). [مشارقة،د.ت، ٢٤. وانظر: فرج، ١٩٧٧، ٣٩-٤٠].

أما التربية الإسلامية فقد منحت الناس جميعاً الفرصة في أن يتعلموا، ويحصلوا على مراتب العلم، على وفق رغباتهم وطموحاتهم، وقدراتهم العقلية. قال الله ﷻ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[الأنعام:١٣٢].

والله عز وجل أمر بالتعلم في أول آية نزل بها الوحي، قال الله ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝﴾[العلق:١-٤]. وحث عليه في آيات عدة، وحضَّ النبي ﷺ عليه في أحاديث عدة منها قوله ﷺ: ((**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنَّة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**))[المنذري، ١٩٨٧، ١/٥٦-٥٧]. وقال عنه: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: لا يعرف إلا من

حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس إسناده عندي بمتصل، وإنما يروى عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهذا أصح.

وقال المنذري أيضاً: وقد اختلف في هذا الحديث اختلافاً كثيراً .[الترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، ٤٨/٥، أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٣١٧/٣، ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١].

٢/١/١- حالات التعلم وأقسامه

تحدث الزُّرْنُوجي عن إلزامية التعلم، وبيَّنَ حكمهُ، وفرَّق بين حالاته تبعاً لفائدة العلم، وحاجة المتعلمين إليه.

٢/١/١/١- تعلم فرض عين

جعل طلب الزُّرْنُوجي العلم فرض عين على المتعلم إذا كان العلم متعلقاً بما لا بد منه للمتعلم لإقامة دينه، وإخلاص عمله لله تعالى. فقد فرض على كل مكلف تَعلُّم ما تصح به عقيدته، وعبادته؛ من صلاة، وصيام...، وما يتحرز به عن الحرام؛ من معاملاته، وسائر الحرف. وسمّى الفرض العيني **بعلم الحال**(١)؛ لأنه لا يصلح حال المتعلم من عقيدته وعبادته، وتربيته إلا بتعلمه. قال الزُّرْنُوجي: ((اعلم أنه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم، وإنما يفترض عليه طلب علم الحال.. ويفترض على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله في أي حال كان، فإنه لا بد له من الصلاة؛ فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته، بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة(...) والزاهد هو

(١) علم الحال، أو ما يسميه العلماء (فرض العين) اصطلاح أدخله الفكر التربوي الفقهي على العملية التعليمية في مجال التنشئة، وقد سبق الزُّرْنُوجي في هذا الاصطلاح الغزالي، وذكره أيضاً بعض المربين؛ كالعلموي، وابن جماعة، والطوسي. وعلم الحال هو العلم الذي يهدف إلى تحقيق حسن المآل أولاً وآخراً، كون حسن المآل له الأولوية العظمى، والتي لم تناقش عند جميع الفقهاء المربين، حيث كان حسن المآل هدفاً أسمى وعناية قصوى تجلى في توحد العمل بالعلم، حيث تقتصر أعمال المرء واهتماماته على ما يحقق هذه الغاية القصوى.[شمس الدين، ١٩٩٠، ٤١، ٤٣].

من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف. وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه))[الزُّرْنُوجي،١٩،-٢٠، ٢١].

وفرض الزُّرْنُوجي أيضاً على المتعلم تعلم **علم أحوال القلب**؛ من التوكل على الله، والخشية منه، والتوبة إليه، والرضا بقضائه، وقدره... وتعلم **الأخلاق الحسنة**؛ كالتواضع، والجود، وتعزيز نفسه بها، **وتجنُّب الأخلاق السئية**؛ كالكِبر، والإسراف، ومجاهدة نفسه على تركها. قال الزُّرْنُوجي: ((وكذلك يُفترض عليه -المتعلم- علم أحوال القلب؛ من التوكل، والإنابة، والخشية، والرضا، فإنه واقع في جميع الأحوال(...) وكذلك في سائر الأخلاق نحو: الجود، والبخل، والجُبْن، والجرأة ، والتكبر، والتواضع(...) فإن الكِبْر، والبخل والجبن، والإسراف حرام، ولا يمكن التحرُّز عنها إلابعلمها وعلم ما يضادُّها، فيفترض على كل إنسان علمها، ثم لا بد له من النية في زمان تعلم العلم، إذ النية هي الأصل في جميع الأحوال))[الزُّرْنُوجي،٢١، ٢٣، ٢٧].

٢/١/١/٢- تعلم فرض كفاية

جعل الزُّرْنُوجي العلوم التي يحتاجها الناس لإقامة دينهم؛ كحفظ القرآن، والأحاديث، والفقه وأصوله، وقوام دنياهم؛ كالطب، وسائر الصنائع من فروض الكفاية التي إن قام بها بعض الناس قياماً يسدُّ حاجاتهم في مجتمع ما، فإنه يسقط الإثم عن الباقين، فإن لم يكن في المجتمع من يقوم بهذه الفروض، فإنهم يشتركون في الإثم. قال الزُّرْنُوجي: ((وأما حفظ ما يقع في بعض الأحايين ففرض على سبيل الكفاية، وقد قيل: إن علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال -كعلم أحوال القلب- هو بمنزلة الطعام، لا بد لكل واحد منه، وعلم ما يقع في بعض الأحايين -كحفظ القرآن عن ظهر غيب- بمنزلة الدواء، يحتاج إليه حين المرض فقط. وأما تعلم علم الطب، فيجوز؛ لأنه سبب من الأسباب، فيجوز تعلمه كسائر الأسباب))[الزُّرْنُوجي، ٢٣، ٢٤، ٢٥].

٣/١/١/٢- تعلم محرم

ذكر الزُّرْنُوجي حرمة تعلم بعض العلوم، ولا سيما الجانب الضار منها، كعلم التنجيم[(١)].

(١) المحرم من علم التنجيم (النجوم) هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان، كمجيئ المطر، ووقوع الثلج، وتغير الأسعار، ونحو ذلك فإنهم يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب، لاقترانها وافتراقها،

أما ما يستفاد من هذا العلم فيجوز تعلمه، وقد يكون واجباً في بعض الأحوال، كتعلم جهة القبلة، إذ إن معرفة جهة القبلة واستقبالها شرط لصحة الصلاة، لذلك يجب تعلم ما تصح به الصلاة. قال الزُّرْنُوجي: ((وعلم النجوم بمترلة المرض، فتعلمه حرام؛ لأنه يضر، ولا ينفع.. اللهمَّ إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة، وأوقات الصلاة، فيجوز ذلك)) [الزُّرْنُوجي، ٢٤].

٢/١/٢- تقسيم التعلم عند الزرنوجي والفقهاء

وأما ما ذكره الزُّرْنُوجي من حكم التعلم، وتقسيمه إلى فرض عين، وفرض كفاية، هو ما عليه الفقهاء. قال ابن عابدين: ((من فرائض الإسلام تعلم ما يحتاج إليه العبد في إقامة دينه، وإخلاص عمله لله تعالى، ومعاشرة عباده، وفرض على كل مكلف ومكلفة بعد تعلمه علم الدين والهداية تعلم علم الوضوء (...) والبيوع على التجار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات في سائر المعاملات، وكذا أهل الحرف، وكل من اشتغل بشيء يُفترض عليه علمه وحكمه ليمتنع من الحرام فيه (...) وأما فرض الكفاية من العلم فهو كل علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا؛ كالطب، والحساب، والنحو، واللغة (...) وأصول الصناعات، والفلاحة، والسياسة (...) من أن علم – القلب- الإخلاص، والعجب، والحسد، والرياء فرض عين، ومثلها غيرها من آفات النفوس؛ كالكِبْر والشُّح، والحقد (...) ونحوها، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجاً إليه)) ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها، وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه [ابن عابدين، ٢٩/١. وانظر النووي: ٢٤/١-٢٧]

وظهورها في بعض الأزمان. وهذا علم استأثر الله به، لا يعلمه أحد غيره. أما من يقول: إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا، وقد يتخلف، فإنه يجوز ذلك، ولا يأثم. وكذلك الإخبار عمَّا يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، وكم مضى من الوقت، وكم بقي منه، فإنه لا إثم فيه، وهو من فروض الكفاية. [الهيتمي، ١٩٨٧، ١٧٨/٢].

٣/١/٢- دعوى عدم وجوب التعليم في الشريعة الإسلامية وردها

على الرغم من أن إلزامية التعلم لم تكن موضع اختلاف عند الفقهاء على وَفق ما سبق بيانه، والنص على إلزامية التعلم يقتضي إلزامية التعليم؛ لأنه لا يحصل تعلم من غير تعليم، فيزعم بعض الباحثين في التربية الإسلامية أن التعليم غير واجب في الشريعة الإسلامية، إذ يرى أن القرآن الكريم والسنة لم يرد فيهما نص يوجب التعليم.

قال الأهواني متبنياً هذا الزعم: ((ولم يرد في القرآن نص على وجوب التعليم على الصورة التي نألفها الآن، ولا يوجب الحديث مثل ذلك، ولم يعهد عن الصحابة والتابعين أنهم أوجبوا على الناس تعليم أبنائهم، بإرغامهم على إرسالهم إلى الكتاتيب، أو استحضار المعلمين لهم. والكتاب والسنة والإجماع هي الأصول التي يرجع إليها الفقهاء في أحكامهم، وليس غريباً أن نجد القرآن خلواً من نص صريح على التعليم، فلم يكن في العهد الذي نزل فيه القرآن كتاتيب، وإرسال الصبيان إليها من الأمور الدنيوية البحتة التي لا يتعرض لأمثالها القرآن، وإنما يتركها لتصرف العباد)) [الأهواني، ٨٧].

إن هذا الزعم غير سديد، ولا يصمد أمام الأدلة التي تنفيه، فإذا كان من الثابت أن القرآن والحديث قد أمرا المسلمين بالعلم الذي لا يمكن أن يتم إلا بالتعلم والتعليم! صحيح أن نجد من الصحابة من لم يرغم ابنه على التعلم؛ لأن التعلم والتعليم في صدر الإسلام لم يكن من مقوماته معرفة القراءة والكتابة -وإن وجد ذلك في ذلك العصر- لارتباط ذلك بالتدوين الذي لم يكن شائعاً في الصدر الأول من جهة؛ ولأن التعليم والتعلم كان يعتمد على الحفظ والاستظهار كعادة العرب عدة قرون من جهة أخرى. والقرآن والحديث حفظهما كثيرون من الصحابة دون معرفتهم القراءة أو الكتابة. وذلك لا ينفي عنهم صفة التعليم والتعلم.

إنه من الغريب حقاً أن يربط الأهواني بين الأمر بوجوب التعليم في القرآن والكتاتيب؟ إذ لا يلزم من عدم ذكر القرآن والسنة للكتاتيب عدم الأمر بالتعليم. فالكُتَّاب مجرد مكان تتم فيه عملية التعليم، وقد وجد شيء من ذلكم في ذلك العصر، وإن اقتصر على تعلم القراءة والكتابة لا على تعلم القرآن كما شاع بعد ذلك. [علي: ١٩٨٧، ٧٦٨]. فقد ظهر إلى الوجود نوعان من

الكتاتيب، وهما كتاتيب: الخط، والكتابة، والقراءة، وكتاتيب: قراءة القرآن، وحفظه. [شلبي: ١٩٧٣، ٤٦] حتى إن الأهواني في نفسه نقل عن الفاسي أن الكتاتيب شاعتِ في عهد الخلفاء الراشدين، فقد أمر عمر بن الخطاب ﷺ ببناء الكتاتيب إلى جانب كل مسجد لتعليم صبيان المسلمين، اقتداءً بعمل النبي ﷺ في بناء الصُّفّة في شمال المسجد. [الأهواني: ٦٣].

فقد ذكر ابن عبد البر في باب العبادلة أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى المدينة وقدمها بعد بدر ونزل بدار القُرَّاء [ابن عبد البر: ١٠/٣٤٧]. ففي قوله إشارة إلى وجود دار القُرَّاء مخصصة للتعلم. ومن المعروف أيضاً أن من الأسرى يوم بدر من كان يحسن الكتابة، وقد جعل النبي ﷺ فداء الأسير وتخلية سبيله تعليم عشرة من الصبيان الكتابة، ويومئذٍ تعلم الكتابة زيد بن ثابت وجماعة من علماء الأنصار [التلمساني: ١٩٨٠، ٧١]. وهناك أدلة كثيرة تؤكد ما ذكر [عبد الغني: ١٩٩٣، ٢٨-٣٠].

إن ما ادعاه الأهواني من أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم ينصا على وجوب التعلم لينم عن قلة معرفته بالنصوص الشرعية، وقواعد تفسيرها، وطرق الاستدلال بها، ولذلك يمكن الرد على هذه الدعوى من خلال بيان بعض النصوص من القرآن والسنة التي تفيد وجوب عملية التعليم والتعلم، وكيفية الاستدلال على ذلك.

٢/١/٣/١- أدلة إلزامية التعلم من القرآن الكريم

وردت آيات عدة في القرآن الكريم تدل على وجوب التعليم والتعلم، منها:

١ - قوله ﷻ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝﴾[التوبة:١٢٢].

قال القرطبي: ((هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر وحده ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ بعد ما علموا أن النفير -للجهاد- لا يسع جميعهم ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ وتبقى بقيتها مع النبي ﷺ ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا

رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه. وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان)) [القرطبي: ١٩٨٥، ٨/٢٩٣-٢٩٤].

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية أيضاً: ((اللام لتأكيد النفي. ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح، ولا ممكن، وفيه أنه لو صح وأمكن، ولم يؤد إلى مفسدة لوجب، لوجوب التفقه على الكافة؛ ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم يمكن نفير الكافة، ولم يكن فيه مصلحة فهلا ﴿نفر مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه، **ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها**)) [الزمخشري: ٢/٣٢٢-٣٢٣].

٢ – قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل:٤٣].

الآية تأمر بسؤال أهل الذكر الذين هم أهل العلم عما لا يعلمون من أمور الدين والدنيا، والأمر بالسؤال أمر بالتعلم، والأمر يفيد الوجوب، فيكون التعلم واجباً.

٣ – قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧].

الآية تحضّ أهل العلم من أهل الكتاب على بيان ما عَلِموه من نبوة محمد ﷺ، ونعته، وتنهاهم عن كتمان ذلك. والحضّ على بيان العلم فيه حضّ على التعليم ونشره، والنهي عن كتمان العلم فيه أمر بنشرهِ وتعليمه؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده كما قرر علماء الأصول [الزنجاني: ١٩٨٧، ٢٥١]، فيكون التعليم مأموراً به بنص الآية. وقال الغزالي في هذه الآية: ((وهو إيجاب للتعلم))[الغزالي: ١/١٧].

٤ – قوله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة:٦٧].

تأمر الآية النبي ﷺ بتبليغ جميع ما أنزل إليه من ربه من أمور دينه، والأمر بالتبليغ أمربنشر العلم والتعليم، فالتعليم مأمور به بنص الآية. قال القرطبي: ((قال ابن عباس: المعنى بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئاً منه فما بلغت الرسالة، وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه)) [القرطبي: ٢٤٢/٦].

٥ – قوله ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝﴾ [العلق: ١-٤].

تأمر الآية بالقراءة التي هي أداة التعلم والتعليم، ولما كانت القراءة واجبة والتعلم لا يتم إلا بها، فإن التعلم يكون واجباً، على وفق قاعدة مقدمة الواجب، ومفادها أن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) التي قررها علماء الأصول [الإسنوي: ١٩٨٤، ٨٣].

٢/٣/١/٢– أدلة إلزامية التعلم من السنة

هناك أحاديث عدة، حضت على العلم والتعلم، وأمرت بالتعليم، وبنشر العلم، ويمكن ذكر بعض منها فيما يأتي:

١ – قوله ﷺ: ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)) [ابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: ٨١/١– بإسناد ضعيف، وحسّنه المزي لطرقه كما قال في المقاصد الحسنة للسخاوي: ص٢٧٥-٢٧٦. وقال عنه في مجمع الزوائد: ١١٩/١ ((رواه الطبراني في الكبير: ١٩٥/١٠، والصغير: ٥٨/١، والأوسط: ٨/١، وفيه عثمان بن عبد الرحمن القرشي عن حماد بن أبي سليمان، وعثمان هذا قال البخاري: مجهول، ولا يقبل من حديث حماد إلا ما رواه عنه القدماء، شعبه وسفيان الثوري)). وقال عنه في مصباح الزجاجة: ٣٠/١ هذا إسناد ضعيف لضعف حفص بن سليمان، وقال عنه البيهقي في شعب الإيمان: ٢٥٣/٢ هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وروي من أوجه كلها ضعيفة. وقال عنه المناوي في

فيض القدير: ٢٦٨/٤ ((قال الزركشي في اللآلئ روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وقال المصنف في الدرر في طرقه كلها مقال لكنه حسن))].

والحديث صريح في فرض التعلم وإلزاميته على كل مسلم سواء أكان ذكراً أم أنثى، إذ لا فرق بين الجنسين من حيث إلزامية التعلم؛ لأن لفظ (مسلمة) داخل في إطلاق لفظ (مسلم) من جهة، وقد جاء في بعض روايات الحديث زيادة لفظ (مسلمة) [أبو حنيفة في مسنده: ٣١/٣٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم: ١٩/٨]. من جهة أخرى. وفي هذا الحديث وغيره رد على من فرّق بين المرأة والرجل في طلب العلم أو التعلم، فقد بالغ بعضهم في النهي عن تعلم المرأة الكتابة والشِّعر، وزعم أنها ناقصة عقل ودين، وأن نقصها لا يشجع على تعليمها العلوم، ويرون اقتصار تعليمها على القرآن. ((وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها، فأما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبهه، فهو مخوف عليها، وإنما تعلم ما يرجى لها صلاحه، ويؤمن عليها من فتنته، وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها))[القابسي: ٢٥٣] وقال الجاحظ أيضاً: ((لا تعلموا بناتكم الكتابة، ولا ترووهن الشعر، وعلموهن القرآن)) [الجاحظ: ١٩٣٢، ٢/٢].

إن هذا الرأي الذي ينادي به قلة من المسلمين الذين يرون عدم تعليم المرأة إلا بعض العلوم، ولا سيما الدينية، لا يقوم على أدلة معتبرة من الدين أو الدنيا. أما الدين فقد مرَّ من الأحاديث التي أمرت بالتعلم ولم تفرق بين تعلم المرأة والرجل، وجاءت أحاديث أخرى تحضّ على تعليم المرأة خاصة كقوله ﷺ: ((**أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**)) [البخاري: كتاب النكاح، باب تزويج الصغار من الكتاب: ١٩٥٥/٦]. ووردت آيات قرآنية تحض المرأة خاصة على التعليم ونشر العلم، كقوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[الأحزاب:٣٤]. فقد أمرت الآية أزواج النبي ﷺ أن ينشرن العلم والثقافة في العصور الذهبية للإسلام، فكان من النساء؛ الكاتبة، والشاعرة، والطبيبة، والفقيهة...، وذكر بعض الفقهاء ــ الحنفية ــ أنه يجوز للمرأة أن تتولى القضاء في حالات معينة. [الدمشقي: ٨٤/٤]، ويدل ذلك أن تتعلم العلوم التي تؤهلها لأن تكون قاضية.

٢ – قوله ﷺ: ((**تعلّموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة... يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام... وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويرحمه الأشقياء**)) [المنذري: ١٩٨٧، ٥٧/١. وقال عنه: رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي... وقال: حديث حسن، ولكن ليس له إسناد قوي] فالحديث أمر بالتعلم (تعلموا) والأمر للوجوب، فالتعلم واجب.

٣ – وقوله ﷺ: ((**من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الناس أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**)) [ابن ماجه: باب من سئل عن علم فكتمه: ٩٧/١. وقال عنه في مصباح الزجاجة: ٤٠/١: هذا إسناد ضعيف]. ويدل الحديث على النهي عن كتمان العلم الذي ينفع الناس سواء أكان ديناً أم دنيوياً، والنهي عن كتمان العلم أمر بنشره؛ لأن النهي عن شيء أمر بضده، ونشر العلم تعليمه، فيكون التعلم مأموراً به.

ويحمل لفظ العلم في الأحاديث السابقة على المعنى العام الذي يشمل العلوم الشرعية وغير الشرعية، ((فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وما هو مذموم، وما هو مباح. فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا؛ كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو ضروري في المعاملات، وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات، وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف بها، وتواريخ الأخبار، وما يجر ي مجراه)) [الغزالي: ٢٨/١]، وأنكر الغزالي على الناس والعلماء اهتمامهم بعلوم الفقه واشتغالهم به على حساب علوم الدنيا المحمودة؛ كالطب، فقال: ((والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدَّم عليه فرض العين، بل قدَّم عليه كثيراً من فروض الكفايات؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه، ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاترون على علم الفقه ولا سيما الخلافيات والجدليات، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى.. فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة، وإهمال ما لا قائم به)) [الغزالي: ٣٧/١].

ويبدو مما سبق بيانه من الحديث عن التعلم الإلزامي عند الزُّرْنوجي وعلماء المسلمين، وأصله في مصادر الشريعة؛ من القرآن والسنة ليسجل سبقاً للفكر التربوي الإسلامي في النص على مبدأ إلزامية التعلم، وشيوع روح الديمقراطية في التعلم بإتاحة المجتمع فرصة التعلم لأبنائه جميعاً، وفسح المجال للحرية والمساواة أمام الأفراد ليطالبوا بحقوقهم، ويقوموا بواجباتهم.

ويكمن الفرق بين التعلم الإلزامي الذي قرر مبدأه القرآن والسنة، واعتمده الزُّرْنوجي وغيره من علماء المسلمين وبين التعليم الإلزامي الذي لم تأخذ به الدول الحديثة إلا في القرن التاسع عشر في أن هذه الدول ألزمت بالتعليم، وبافتتاح مؤسسات، ومدارس، وأصبح واجباً عليها إقامته، وحقاً لأفرادها بمقتضى التشريعات القانونية التي سنتها، والتي تلزم أفرادها ذكوراً وإناثاً بممارسة هذا الحق، ومعاقبتهم إذا ما امتنعوا من ذلك، أو خالفوا القوانين الخاصة بإلزامية التعليم. في حين يلاحظ أن التعليم الذي نادى به علماء المسلمين قديماً هو **إلزامي ديني لا قانوني** أو ما يسمى **بالاعتبار الدياني** الذي يربي ضمير الفرد، ويخاطب وجدانه، ويصلح ظاهره، وباطنه، ويقوم سلوكه، من خلال مراقبة الفرد لخالقه، وإيمانه بثواب الله وعقابه، ومسؤوليته أمامه يوم الدين، فبمقتضى هذا الاعتبار يلزم المتعلم بالتعلم. **وأما الاعتبار القضائي** الذي يقوم على سن التشريعات التي تنظم عملية التعلم، وتلزم أفراد المجتمع بها، وتعاقبهم على تركها فإن الزرنوجي لم يتطرق لذلك.

٢/٢- الدافعية

تحتل الدوافع أو الحوافز أهمية كبرى في عملية التعلم وبناء شخصية المتعلم إذ إنه ((لا يوجد تعلم من غير حافز))، [عاقل: ١٩٨١، ٢٠]، والمعلم مدعو إلى أن يستثمر هذه الدوافع لتنمية التعلم عند المتعلمين، وتوجيههم، وإثارتهم بغية الحصول على تعلم أفضل؛ ولهذا كان عليه -المعلم- أن يستثمر الدوافع الثانوية، وهي كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الميول، والرغبات، والاتجاهات، وحاجة التلاميذ إلى استحسان الزملاء، وحاجاتهم إلى إرضاء المعلم، وكسب مودته، ورضائه، وارتفاع مستوى الطموح والثواب والعقاب، وبعض المحفزات الأخرى؛

كالجوائز الأدبية، والمالية، وكلها وسائل يستطيع المعلم أن يسخرها لخدمة عملية التعلم [الغريب: ١٩٧١، ٥٠٠، ٥٠١].

ويمكن تعريف الدافعية بأنها: ((الحالة النفسية الداخلية أو الخارجية للمتعلم التي تحرك سلوكه وتوجهه نحو تحقيق غرض معين، وتحافظ على استمراريته، حتى يتحقق ذلك الهدف)) [قطامي: ٢٠٠٠، ٤٢٧].

إن الحديث عن الدوافع واسع، وسيتم التركيز على الدوافع التي تتعلق مباشرة بموضوع التعلم، ولا سيما التي أشار إليها الزُّرْنُوجي، واهتم بتنميتها، وهي: الدافع المعرفي، والدافع التنافسي، ودافع الإنجاز.

٢/٢/١- الدافع المعرفي

إن للدافع المعرفي دوراً مهماً في عملية التعلم، ويتمثل هذا الدافع ((في الرغبة في المعرفة والفهم، ومعالجة المعلومات، وصياغة المشكلات وحلها. إن تأثير البيئة المحيطة بالفرد لها علاقة وثيقة بتنمية هذا الدافع (...) فالممارسات الناجمة، وتوقع النواتج المشبعة (...) ذات أثر بعيد في درجة ظهوره)). [منصور: ١٩٩٣، ٥١].

اهتم الزُّرْنُوجي بهذا النوع من الدوافع، حيث سعى إلى تنمية ميول اهتمامهم بتحصيل العلم، وترغيبهم في طلبه، والاستعانة عليه بالوسائل المختلفة التي تبعث في نفس المتعلم حب التعلم وتوجهه إلى أفضل أنواع التعلم. قال الزُّرْنُوجي: "فينبغي للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجد، والمواظبة، بالتأمل في فضائل العلم، فإن العلم يبقى ببقاء المعلومات والمال يفنى، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

[الزُّرْنُوجي: ٥٨-٦٠].

رَضِينَا قِسْـــمةَ الجَبَّارِ فِينَا ... لنا عِلْمٌ وللأعْـــداءِ مالُ

فإنَّ المالَ يَفْنَى عن قَـــرِيبٍ ... وإنَّ العِلْـــمَ يَبْقَى لا يَزَالُ

وقال غيره أيضاً:

هَوَ النورُ كلُّ النورِ يَهْدِي عن العَمَى وذُو الجهْلِ مَرَّ الدهر بينَ الغَيَاهبِ

به ينتَجِي والنَّــــاسُ في غَفَـــلاتِهم به يَرْتَجِــــي والرّوحُ بين التَرائِبِ

به يَشْفَعُ الإنســـانُ مَنْ رَاحَ عاصِياً إلى دَرَكِ النِّيرانِ شَـــرِّ العَواقبِ

فَإنْ فَاتَكَ الدُّنيـــا وطيـــبُ نَعيمِهَا فَغَمِّضْ فإنَّ العِلـــمَ خيرُ المواهِبِ

وقال الزُّرْنُوجي أيضاً: ((وكفى **بلذة العلم والفقه داعياً وباعثاً** للعاقل على تحصيل العلم)) [الزُّرْنُوجي: ٦٢]. وقال أيضاً: ((والعلم النافع يحصل به حسن الذكر، ويبقى ذلك بعد وفاته، فإنه حياة أبدية...)) وأُنْشِدَ: [الزُّرْنُوجي: ٥٨، ٥٩].

الجَاهِلونَ فموتَى قَبْلَ مَوتِهم والعَالِمُونَ وإنْ ماتُوا فَأَحْيَاءُ

٢/٢/٢- دافع التنافس والحاجة إلى التقدير

إن منافسة المتعلم غيره من المتعلمين لتزيد من مقدار الجهد الذي يبذله في التعلم، ومن ثَمَّ توجيه سلوك المتعلم إلى تحقيق التفوق، والرضا الذاتي والاجتماعي. ((إن الإنسان يزيد من مقدار الجهد المبذول حينما يتنافس مع غيره، وحينما يعرف أنه سيحصل على التقدير والاحترام الاجتماعي، أي ما يتوقعه من الغير نحوه، ودرجة إظهاره له، مثل: الاهتمام، والثقة به، أو الإهمال، والبعد والتحفظ نحوه، فالرغبة في إشباع هذا النوع من التقدير يوجه سلوك الفرد نحو تلبية متطلبات الغير، فيبذل ما يمكنه من جهد في القيام بما يتوقع أنه عمل له قيمته الاجتماعية الإيجابية)) [منصور: ١٩٩٣، ٥٢-٥٣].

ويلاحظ أن الزُّرْنُوجي اهتم بهذا النوع من الدافعية، ووجه عنايته إلى النشاط الاجتماعي للفرد، وأثره في التعلم من خلال شحذ همة الفرد لمنافسة الآخرين، ومشاركتهم الفعاليات الاجتماعية وطرق التعلم التي تنمي روح المنافسة في الأفراد من ناحية، وإظهار القيمة الاجتماعية الإيجابية لهم من خلال معرفة الناس، ولا سيما العلماء، وشهادتهم للمتعلمين، ببلوغهم مستوى

التمكن المعرفي، والثناء عليهم، وتوجيه طلاب العلم لملازمتهم، وتلقي العلم من لدنهم من ناحية أخرى. إن الزُّرْنُوجي ينصح المتعلم، ويوجه عنايته، ويثير اهتمامه لبلوغ المستوى المعرفي الجيد والتقدير الاجتماعي المطلوب، من خلال اعتماده على طرق التعلم؛ كالمذاكرة والمطارحة والمناظرة. ومما يذكر للزرنوجي في هذا المجال أنه وجه المتعلم أولاً إلى **المذاكرة** التي تشد اهتمام المتعلم بالكتاب الذي يتعلم منه، ويوثق الصلة به؛ لأنه أساس للتعلم، وبداية مهمة للتمكن المعرفي.

ثم تقدم الزُّرْنُوجي خطوة أخرى فنصح المتعلم **بالمطارحة** التي فضلها الزُّرْنُوجي على المذاكرة؛ لأن فيها مذاكرة وزيادة. إذ إن المطارحة يتم فيها بحث المسائل التي طرحت في الدرس بين المتعلمين، والمشكلات التي اعترضتهم وسبل حلها، فبالمطارحة يعرف المتعلم مدى قدرته على المنافسة، وتمكنه المعرفي بالنسبة إلى زملائه.

ثم يحاول الزُّرْنُوجي الوصول بالمتعلم إلى أفضل أنواع التعلم، واستعداده لملاقاة العلماء، وتعرف آرائهم المختلفة، والتباحث معهم من أجل الوصول إلى الحقيقة عن طريق **المناظرة** التي يمكن للمتعلم من خلالها إظهار نفسه وشهرته، ومعرفة الناس له، والدخول في ميدان التعليم لمنافسة العلماء.

قال الزُّرْنُوجي مبيناً ما تقدم: ((ولا بد لطالب العلم من المذاكرة، والمناظرة، **والمطارحة، فإن المناظرة والمذاكرة** مشاورة، **والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب** (...) وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة التكرار؛ لأن فيها تكراراً وزيادة. فقد قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر)) [الزُّرْنُوجي: ٧٠-٧١].

أعطى الزُّرْنُوجي بعداً أعمق للتنافس والتقدير الاجتماعي من خلال الاهتمام بتوفير الجو النفسي والاجتماعي للمتعلم، وتأثير ذلك في عملية التعلم، من حيث نصح المتعلم بعدم المذاكرة والمنافسة إلا مع شريك يتمتع بصفات خُلُقية وعلمية طيبة، لذلك حذر الزُّرْنُوجي المتعلم من مصاحبة الكسلان، والمذاكرة معه، وأمره بمصاحبة المجد وصاحب الطبع السليم.

قال الزُّرْنُوجي: ((إياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسربة، والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة)) [الزُّرْنُوجي: ٧١]. وقال أيضاً: ((أما اختيار الشريك فينبغي أن يختار المجد الورع، وصاحب الطبع السليم، ويفر من الكسلان، والمفسد)). وأُنْشِدْتُ: [الزُّرْنُوجي: ٣٧].

لاَ تَصْحَبِ الكَسْــلانَ في حَالاتِه كَمْ صالحٍ بفَسَــادِ آخَرَ يَفْسُدُ

عَدْوى البليدِ إلى الجليدِ سَــريعةٌ كالجمْرِ يُوضَعُ في الرّمادِ فَتَخْمُدُ

ودعا الزُّرْنُوجي المتعلم إلى الاستفادة من المنافسين له جميعاً، واحترامهم، فقال: ((ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس، ومن يتعلم منه، والتملق مذموم إلا في طلب العلم، فإنه ينبغي أن يتملق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم)) [الزُّرْنُوجي: ٤٧]. وقال أيضاً: ((ويكون مستفيداً في جميع الأحوال والأوقات من جميع الأشخاص)) [الزُّرْنُوجي: ٧٣].

٣/٢/٢- دافع الإنجاز والتحصيل

تستثير المتعلم دوافع ذاتية وخارجية، تدفعه إلى تحسين أدائه، والتفوق على أقرانه، وتحصيل مستوى أعلى من الدرجات التي يرضى بها المتعلم، ويسعى جاهداً من أجل تحقيقها. والإنجاز هو: ((الأداء في مستوى محدد للامتياز والتفوق، أو هو ببساطة الرغبة في النجاح وتجنب الفشل(...) إنه السعي والاجتهاد من أجل تحقيق مستوى من الدرجات المتقدمة في سلم النجاح الذي تدعمه اتجاهات المجتمع وقيمه(...) وهو يشير إلى حاجة يشعر بها الفرد من داخله، وتستحثه إلى الوصول إلى مستوى يلبي هذه الحاجة(...) تؤكد بعض الدراسات التي أجريت أن الأفراد من ذوي الإنجاز العالي يتعلمون ويؤدون الاستجابات أسرع وأدق من ذوي الإنجاز المنخفض. وتؤكد نتائج بحوث أخرى أن ذوي الإنجاز العالي يصعب استثارة دوافعهم بالجوائز والمكافآت الخارجية، وهم يؤدون أفضل حين يحصلون على الرضا نتيجة إنجاز جيد)) [منصور: ١٩٩٣، ٤٨-٤٩].

لقد أعطى الزُّرْنُوجي دافع الإنجاز أهمية حينما نصح المتعلم أن يقرن بين الهمَّة والجِدّ ويضيف إليهما المواظبة التي لا غنى عنها من أجل تحصيل عالٍ، وأن يبعث في نفسه تحصيل العلم من

خلالهما، فقال: ((ولا بد لطالب العلم **من الهمّة العالية في العلم، فإن المرء يطير بهمته، كالطير يطير بجناحيه** (...) والرأس في تحصيل الأشياء: الجِدّ والهمّة العالية(...) واقترن بذلك الجِدّ والمواظبة(...) فأما إذا كانت له همة عالية، و لم يكن له جِدّ، أو كان له جِدّ و لم يكن له همة عالية، فلا يحصل له علم إلا القليل)) [الزُّرْنُوجي: ٥٥].

وقال أيضاً: ((فينبغي للمتعلم أن يبعث نفسه **على التحصيل والجِدّ والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم))** [الزُّرْنُوجي: ٥٨]. وقال أيضاً: ((ثم لا بد من الجِدّ والمواظبة لطالب العلم، وإليه الإشارة في القرآن بقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾))[العنكبوت:٦٩][الزُّرْنُوجي: ٥٠].

ومما قال الزُّرْنُوجي آنفاً يلاحظ أنه ربط بين الهمة والعمل، فالهمة باعث على الحركة، بل هي في ذاتها حركة داخلية، يمكن أن تؤدي إلى حركة خارجية، أو سلوك. بل ((إنه يخطو خطوة أبعد تتضمن نفاذ بصيرة نفسية، تلفت نظر النفساني المعاصر، عندما يبين أمرين: الأول أن المواظبة، أو العمل، أو السلوك يؤدي إلى تحريك الهمة، وأن العلاقة بين الهمة والعمل، أو الانفعال والسلوك علاقة تبادلية، بحيث تؤدي الهمة إلى جِدّ ومواظبة، بينما يؤدي الجِدّ والمواظبة إلى الهمة. أما الأمر الثاني الذي يعكس عمق بصيرته في الظواهر النفسية، فهو أنه نصح المتعلم بترك الكسل، ودعاه إلى أن يفعل ذلك عن طريق نشاط عقلي معرفي يقوم به قصداً، وذلك بأن يتأمل مناقب العلم وفضائله، ويرى أن هذا التأمل يبعث همة المتعلم إلى التحصيل، أي أنه ربط هنا بين الاستثارة العقلية المعرفية، والاستثارة الانفعالية الدافعية، وهو ربط سديد، تؤكده بحوث علم النفس الحديثة التي تدور حول ما في العمليات العقلية المعرفية من عناصر دافعية. فالزُّرْنُوجي يربط بين الهمة والسلوك ربطاً تبادلياً من جهة، كما يربط بين النشاط العقلي المعرفي والحياة الانفعالية الدافعية من جهة أخرى)) [عثمان: ١٩٨٩، ١٠٥].

ويلاحظ أيضاً أن الدافعية عند الزُّرْنُوجي بأنواعها المختلفة إنما هي دافعية ذاتية تنبعث من داخل المتعلم، وليست خارجية مرتبطة بالمكافآت أو الجزاء الخارجي.. لذلك ركز الزُّرْنُوجي على المكافآت الداخلية التي عبر عنها ((باللذة)) تارة، ((وبالارتياح أو الرضا)) تارة أخرى.

قال الزُّرْنُوجي: ((ولا بد من تحمل النّصَب والمشقة في سفر التعلم، فمن صبر على ذلك وجد **لذة** تفوق سائر لذات الدنيا، ولهذا كان محمد بن الحسن إذا سهر الليالي، وانحلت له المشكلات يقول: أين أبناء الملوك من هذه اللذات؟ وهكذا ينبغي للفقيه أن يشتغل به في جميع أوقاته، فحينئذ يجد لذة عظيمة في ذلك)) [الزُّرْنُوجي: ٨٦]. وقال أيضاً: ((وكفى **بلذة** العلم والفقه **داعياً وباعثاً** للعاقل على تحصيل العلم)) [الزُّرْنُوجي: ٦٢].

وقال الزُّرْنُوجي أيضاً: ((وينبغي لطالب العلم **أن يعُدّ** ويقدِّر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ)) [الزُّرْنُوجي: ٨١-٨٢]. إن قول الزُّرْنُوجي السابق يبرز أهمية ذاتية التقويم، وارتباطها بذاتية الدافعية التي تتجلى في تنبيهه المتعلم في أن يعد وأن يكرر لنفسه من الاهتمام بالدرس وتحصيله وتكراره كي يبلغ المستوى المعرفي، أو مستوى التمكن الذي يرجوه المتعلم، ويرضى عنه، ويرتاح له. فإن وصل إلى ذلك فحينئذ يستقر قلبه، وتطمئن نفسه. ((وكم يشبه هذا من وجه جديد، ما نؤكده من ضرورة مراعاة الفروق بين الأفراد، من حيث قدرتهم وسرعتهم في بلوغ مستويات التمكن والهيمنة في التعلم، ولا سبيل إليه إلا بأن يكون للمتعلم دور في أن يَعدّ ويقدر لنفسه مستوى لا يستقر قلبه حتى يبلغه(...) وأن يكون له دور في تقويم تعلمه)) [عثمان: ١٩٨٩، ١١٤-١١٥]. إن في قول الزُّرْنُوجي: ((أن يعدّ، ويقدر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ)). إشارة واضحة إلى مستوى الطموح الذي يقصد منه: ((الهدف الذي يرسمه الفرد، ويسعى إلى الوصول إليه، أو هو المستوى الذي يتوقع الفرد أن يصل إليه بناءً على تقديره الذاتي لقدراته واستعداداته. وهناك علاقة بين مستوى الطموح والإنجاز المدرسي، فكلما كان مستوى الطموح أعلى كما هو الحال عند الطلاب المجدين انعكس ذلك إيجابياً على العمل المدرسي (...) وبالعكس فإن مستوى الطموح المنخفض يؤدي إلى فاعلية من جانب المتعلم أقل ما يقال عنها: إنما دون مستوى الكفايات والقابليات التي يمتلكها ويوظفها لأغراض التعلم)).[منصور:١٩٩٣، ١٥٣].

ويبدو أن ما نص عليه الزُّرْنُوجي واهتم به من تأثير الدوافع الذاتية في التعلم، وتركيزه على المكافآت الداخلية التي عبر عنها بلذة العلم، أو ارتياح المتعلم، ورضاه عما حققه من مستوى معرفي، هو ما أكدته الدراسات التربوية الحديثة في مجال علم النفس: ((وتؤكد نتائج بحوث أخرى

أن ذوي الإنجاز العالي يصعب استثارة دوافعهم بالجوائز والمكافآت الخارجية، وهم يؤدون أفضل حين يحصلون على الرضا نتيجة إنجاز جيد)) [منصور: ١٩٩٣، ٤٩].

وما قدمه الزَّرْنُوجي في هذا المجال أيضاً يتوافق مع ما ذكره ((هيدر)) عن الدافعية في الأداء، فقد ميز بين نوعين من المتعلمين: المتعلم المدفوع ذاتياً، والمتعلم المدفوع بدوافع خارجية، وأكد أن الأنشطة المحكومة بدوافع ذاتية أو داخلية تعزز نفسها بنفسها، وتؤثر في تعلم الفرد أكثر من الدوافع الخارجية. إذ إن من خصائص الدافع الداخلي تركيز المتعلم على التعلم المتعمق، وعلى التعلم الفردي والذاتي، وعلى التفوق في التحصيل. [زايد: ٢٠٠٣، ٧٩-٨٠]. ويتفق الزَّرْنُوجي مع أصحاب نظرية التقرير الذاتي التي هي إحدى نظريات الدافعية الحديثة، ويشير أصحاب هذه النظرية: ((بأن الناس أكثر حباً لأن يدفعوا داخلياً للاشتراك في نشاط عندما يكون مصدر الضبط لديهم داخلياً، منه عندما يكون مصدر الضبط لديهم خارجياً)) [زايد، ٢٠٠٣، ٧٦-٧٧].

٤/٢/٢- الدافعية في القرآن والسنة

١/٤/٢/٢- الدافعية في القرآن

لقد استخدم القرآن الكريم منهجاً فريداً في تربيته للمؤمنين، وغرس المبادئ والقيم الإسلامية في نفوسهم، واهتم بإثارة دوافعهم للتعلم، وتغيير سلوكهم غير المرغوب فيه، وتثبيت السلوك المرغوب فيه، بأساليب عدة؛ كالترغيب والترهيب، والقصة.

أثار القرآن دوافع الناس عن طريق ترغيبهم في الثواب الذي يحظى به المؤمنون في نعيم الجنة، وبترهيبهم من العقاب الذي سيلحق الكافرين في نار جهنم. وهناك آيات عدة تصف نعيم الجنة التي هي مقر المؤمنين، فتبعث في نفوسهم الأمل في دخولها والشوق إليها، ومن ثَمَّ تثير دافعهم للعمل على رضا الله عز وجل، وتقواه، بالسبل كافة من أجل الوصول إلى ذلك النعيم. وآيات أخرى تصف نار جهنم التي هي مقر الكافرين ومقامهم، وتصف حالهم فيها، فتبعث فيهم الرهبة من عذابها وسوء الحال فيها، ومن ثَمَّ العمل على الخلاص منها، بطاعة الله عز وجل والابتعاد عن معاصيه.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾[الواقعة: ٢٧-٥٧].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾[الذاريات: ١٥-١٦]. وقال الله ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾[النساء:٥٦-٥٧].

ويلاحظ أن القرآن الكريم لا يستخدم أسلوب الترغيب وحده أو الترهيب وحده لإثارة دوافع الإنسان ومشاعره الوجدانية، من أجل توجيه سلوك الإنسان أو تعديله، إنما يستخدم أسلوبي الترغيب والترهيب، ويمزج بينهما، إذ إن استخدام أسلوب الترغيب وحده أو الترهيب وحده قد لا يكون مفيداً في تعديل سوك الإنسان ((ولكنك تعود إلى مجموع ما وصف به القرآن حال كل من الفائزين والهالكين يوم القيامة، فلا تجد لنفسك موقعاً مع أحد الفريقين، وبذلك تظل في حالة وسطى بين اليقين برحمة الله وغفرانه، واليقين بعذاب الله ونكاله، ويشدك إلى كل منهما أمل وخوف، رغبة ورهبة، وتلك هي الحالة التي تحملك على السعي الحثيث للاقتراب إلى حال أولئك الصالحين، والابتعاد عن حال هؤلاء الهالكين. وهكذا يضعك بيان الله ومنهجه التربوي بين المخافة من عذابه، والرجاء في ثوابه حتى لا ترهب من عذابه رهبة توقعك في اليأس، ولا ترغب في رحمته رغبة توكلك إلى الدّعَة)) [البوطي: ٢٨٦].

ومن الأساليب التي انتهجها القرآن لإثارة دوافع المتعلم للتعلم، وجذب انتباهه، وتشويقه القصة التي تشوق المستمعين إليها لمتابعة أحداثها، وتبعث فيهم حب الاستطلاع ومعرفة تفاصيلها، والوقوف على حكمها، وأخذ العبرة منها. ((لا يسوق القرآن من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت القصة من أجله، كي تظل الصلة متينة بينها وبين المناسبة الداعية إلى ذكرها، بحيث تبعث القصة فيها الأهمية وتمدّها بالحركة والحياة، من أجل هذا لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سرداً تاريخياً تبعاً لسلسلة الوقائع والأحداث. إذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارئ عن المناسبة والغرض الأصلي اللذين ذكرت بصددهما)) [البوطي:٢٤٩-٢٥٠].

يبدو ما ذكر آنفاً واضحاً في قصة أصحاب الكهف، حيث بدأ الله عز وجل بذكر ملخص القصة دون سرد تفاصيلها، ليشوق المستمع ويشد انتباهه لمتابعة أحداثها، وبعض تفاصيلها. قال الله ﷻ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[الكهف:١٣-١٤]. يلاحظ في بداية القصة وصف مختصر لأصحاب الكهف فلم يذكر القرآن في هذا الموجز من هم أصحاب الكهف؟ وكم عددهم؟ وأين يقطنون؟ وكم مكثوا في الكهف؟ وكيف حال مكوثهم فيه؟ ...إلخ كل هذه الأسئلة قد تجيب القصة عن بعضها، وتترك بعضها الآخر، والمهم أنها في هذا الموجز أثارت هذه الأسئلة في المستمع، لتدفعه إلى حب الاستطلاع ومعرفة بعض تفاصيلها. وحب الاستطلاع يعد أحد الدوافع التي ترتبط بالتعلم، ويمكن أن يظهر من خلال رغبة المتعلم في معرفة المزيد عن نفسه، أو عما يدور حوله، ومتابعة التطلع إلى الأشياء لاكتشاف السر فيها. [منصور: ١٩٩٣، ٤٤].

لم يتطرق القرآن الكريم إلى إثارة الدوافع المعرفية والاستطلاعية في المتعلم فحسب، بل أثار فيه دافع التنافس، إذ حث الناس على التنافس ونمّى فيهم روح المنافسة الشريفة في المجالات كافة، ولا سيما فعل الخيرات كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[المطففين:٢٢-٢٦]. والعلم والتسابق في تحصيله كما في قول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

٢/٢/٤/٢– الدافعية في السنة

اهتم النبي ﷺ بمبدأ الدافعية، وأثره في التعلم، وطبقه على أصحابه، وركز إثارة دوافعهم إلى التعلم سواء أكانت دوافع معرفية أم استطلاعية أم تنافسية عن طريق الترغيب والترهيب والقصة. فكان النبي ﷺ يستعين بالترغيب والترهيب لإثارة دوافع أصحابه لاعتناق الإسلام، والتزام مبادئه، والابتعاد عن المعاصي، والتمسك بالأخلاق الحسنة، ونبذ السيئة منها، وحسن معاملة الناس..إلخ. الأحاديث التي تدل على إثارة الدوافع كثيرة، منها: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: ((**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**)) [مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر: ٩٤/١]. وقوله ﷺ في الترغيب بأداء العبادات: ((**ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويتجنب الكبائر[1] إلا فتحت له أبواب الجنة، فقيل له: ادخل بسلام**)) [البيهقي: ١٩٩٤، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة: ٥/٢، والنسائي: ١٣٩٢هـ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة: ٨/٥].

وقوله ﷺ: ((**خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن و مواقيتهن، وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه**)) [المنذري: ١٤١٧هـ، كتاب الصدقات الترغيب في أداء الزكاة وتأكيد وجوبها: ٣٠٠/١، وقال عنه: رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، والطبراني في الكبير: ٥٦/٢].

واستعمل النبي ﷺ أسلوبي الترغيب والترهيب معاً، إذ إن الترغيب وحده قد يجعل الناس يتواكلون، ويقصرون في أداء واجباتهم، كما أن الترهيب وحده قد يجعل بعض الناس ييأسون من رحمة الله، فيتركون واجباتهم. قال النبي ﷺ: ((**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع**

(١) الكبائر هي السبع هي: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والسحر والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحداً)) [مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله: ٤/٢١٠٩].

واستعمل النبي ﷺ القصة لإثارة دوافع أصحابه لتوحيد الله، وتقواه، والتزام مبادئ الإسلام...إلخ. بقوله: ((**إن الله عز وجل سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، فيقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندي حسنه، وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم يقول: إنك لن تظلم فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء))** [الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: ٥/ ٢٤، وقال عنه: ((حديث حسن غريب))، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة: ١٤٣٧/٢، وابن حبان: ١٩٩٤، كتاب الإيمان، باب التكليف: ٤٦١/١].

وكان النبي ﷺ يذكر القصة، ويبهم بعض الأشياء فيها، ليثير في المخاطبين دافع معرفة تلك الأشياء، وحب استطلاعها، والتنافس فيها، وقد اجتمعت تلك الدوافع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ، فقال: ((**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار –سعد بن أبي وقاص– تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال –كما هي السنة– فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حال الأولى. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو –بن العاص– أي تبع ذلك الرجل، فقال: إني لا حييت –خاصمت، وجادلت– أبي فاقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب –أرق في فراشه ليلاً مع كلام وصوت– على فراشه. ذكر الله تعالى عز وجل، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله**

ﷺ يقول ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك فانظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق)) [البيهقي: ١٩٩٤، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انتبه من منامه: ٢١٥/٦، أحمد في المسند: ١٦٦/٣، الهيثمي: ٧٩/٨، وقال عنه: ((رواه أحمد والبزار بنحوه... ورجال أحمد رجال الصحيح].

ففي الحديث جوانب تربوية مهمة، إذ حث المتعلمين على تعديل سلوكهم، وتوجيهه، بترك غش المسلمين وحسدهم، وأثار فيهم دافع المعرفة، وحب الاستطلاع من خلال إيهام الشخص وعمله، بالإضافة إلى دافع التنافس في فعل الخيرات، والتعلم الذي ظهر واضحاً في سلوك عبد الله بن عمرو الذي لحق الصحابي إلى بيته، ليعرف ما كان يعمل حتى حظي بشهادة النبي ﷺ له وليقتدي به، ويعمل مثل علمه.

وبدا دافع المنافسة واضحاً عند المتعلمين حينما رأى النبي ﷺ وهو يسير رجلاً، يتقلب في الرمضاء ظهراً لبطن، يقول: يانفس، نوم بالليل، وباطل بالنهار، وترجين الجنة؟ فلما قضى دأب نفسه أقبل إلينا فقال: أي النبي ﷺ: ((دونكم أخوكم)) قلنا: ادع الله لنا، يرحمك الله، قال: اللهم اجمع على الهدى أمرهم، قلنا زدنا، قال: اللهم اجعل التقوى زادهم، قلنا: زدنا، فقال النبي ﷺ: ((زدهم)) قال: اللهم وفقه فقال: اللهمّ اجعل الجنة مآبهم)) [الهيثمي: ١٣٠٧هـ، ١٨٥/١٠، وقال عنه: رواه الطبراني من طريق أبي عبد الله عن علقمة بن مرثد و لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، والطبراني في الكبير: ٢٢/٢].

٣/٢- الاســتعداد للتعلــــم والعــزم عليــه

١/٣/٢- مقدمة

إذا كان التعليم يتأثر بالتشوق الذي يتوقف أساساً على حاجات الفرد ودوافعه فإن هذه ((الحاجات والدوافع تسبب العزم على التعلم والرغبة فيه بصورة عامة، أضف إلى ذلك أن هذه الحاجات والدوافع تركز العزم وتوجهه، وذلك بأنه حين يريد الإنسان أن يتعلم شيئاً فإن الفاعليات الأخرى لا تجتذب اهتمامه، ولا تستأثر بجهوده، وبدلاً من ذلك يوجد لديه توقع وتوتر يكونان تميؤاً لتعلم الشيء المرغوب فيه بالذات(...) إذا أريد للجهد أن ينجح فلا يكفي أن يكون الإنسان عازماً على التعلم متهيئاً له، بل لا بد له من أن يكون مستعداً للتعلم. والاستعداد لتعلم أمر بعينه يقتضي بعض القابليات والكفاءات(...) وكلما زاد مقدار القابليات والكفاءات زاد الاستعداد للتعلم))[عاقل: ١٩٩٠، ١٨٣].

ويؤكد علماء النفس التربوي أن ((النضج والخبرة السابقة وطبيعة العمل المراد تعلمه عوامل حاسمة في الاستعداد للتعلم)) [عاقل: ١٩٨١، ١٨]. وأن من أهم واجبات المعلم أن يغرس في طلابه الاستعداد للتعلم والعزم عليه. [عاقل: ١٩٩٠، ١٨٨].

إن الاستعداد للتعلم من العوامل المهمة التي تؤثر فيه، وهو يحتاج إلى توافر قابليات وقدرات وخبرات في الفرد تمكنه من اكتساب المعلومات والمهارات، وتحقيق إنجازات في الحال أو المآل. والاستعداد هو ((تميؤ أو طاقة كامنة، أو احتمالية تمكن الفرد إذا ما تيسر تنبيهها أو إطلاقها من اكتساب المعلومات والمهارات سواء أكانت عامة أم خاصة)) [منصور: ١٩٩٣، ٢٢]. والاستعداد للتعلم ((ينبغي ألا يفهم منه أنه مجرد التهيؤ والرغبة والإقبال على التعلم فحسب، إنه يحتاج بالإضافة إلى ما ذكر حاجة أكيدة إلى توافر القابليات والقدرات والخبرات التي تؤلف أساساً ضرورياً وشرطاً لا بد منه لبلورة الاستعداد، والتعبير عنه في أداءات أو إنجازات قابلة للملاحظة والقياس)).[منصور: ١٩٩٣، ٢٦].

٢/٣/٢- العناصر التي تنمي في المتعلم الاستعداد للتعلم

جعل الزُّرْنُوجي الاستعداد للتعلم والعزم عليه عنصراً رئيساً في التعلم، واهتم ببيان الوسائل أو العناصر التي تجعل المتعلم مستعداً للتعلم، وتعزز فيه روح العزم عليه، والاستمرار به، وتعمل على تهيئة البيئة المناسبة لتعلم أفضل.

جاء اهتمام الزُّرْنُوجي بعناصر الاستعداد، ووسائله، حينما تحدث عن نية المتعلم وحسن توكله على الله عز وجل، ومواظبته على التعلم بهمة عالية.فركز على **نية المتعلم**، وجعلها أساساً في تعلمه، وبين عناصرها، إذ طلب من المتعلم أن تكون نيته لطلب العلم مرتبطة بعوامل داخلية، كإزالة الجهل عن نفسه، وشكره الخالق على نعمة العقل والبدن؛ وخارجية، كقصد المتعلم إرضاء الله عز وجل بطلبه العلم، والفوز بالدار الآخرة.

قال الزُّرْنُوجي: ((ثم لا بد له -المتعلم- من النية في زمان تعلم العلم، إذ النية هي الأصل في جميع الأحوال، لقوله ﷺ: ((**إنما الأعمال بالنيات**)) [البخاري: باب بدء الوحي: ٣/١].

وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم؛ رضا الله تعالى، والدار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه، وعن سائر الجهال، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام، فإن بقاء الإسلام بالعلم، ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل(...) وينوي به الشكر على نعمة العقل، وصحة البدن)) [الزُّرْنُوجي: ٢٧].

ثم تحدث الزُّرْنُوجي عن محترز النية، وضرورة اجتناب نية المتعلم في طلبه العلم شوائب الدنيا، ومتعلقاتها، مثل: حب الجاه، والتقرب من السلطان(...) قال الزُّرْنُوجي: ((ولا ينوي به إقبال الناس إليه، ولا استجلاب حطام الدنيا، والكرامة عند السلطان وغيره(...) اللهم إلا إذا طلب الجاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنفيذ الحق، وإعزاز الدين، لا لنفسه وهواه، فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)) [الزُّرْنُوجي: ٢٨-٢٩].

ونصح الزُّرْنُوجي المتعلم ببعض الأمور التي تساعده على إخلاص نيته، وتشد من عزمه، وتنمي فيه استعداده للتعلم؛ كالتفكير في فضائل العلم، ومشقة تحصيله، والمقارنة بين العلم الذي

يبقى ذخراً للمتعلم في الدار الآخرة، التي هي دار مقر، والدنيا التي هي دار ممر، وما فيها من شهوات وملذات.

قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يتفكر في ذلك، فإنه يتعلم العلم بجَهد كثير فلا يصرفه إلى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية)) [الزُّرْنُوجي: ٣٠].

ويربط الزُّرْنُوجي بين **النية، وجهد المتعلم**، ومشقته في تحصيل العلم، فيشير بدقة إلى أهمية الإخلاص في النية، وأثره في توجيه تنمية جهد المتعلم، وتحمله مشقة التحصيل، بقوله: ((ولا بد من تحمل النصب والمشقة في سفر التعلم(...) ليعلم أن سفر العلم لا يخلو من التعب؛ لأن العلم أمر عظيم، وهو أفضل من الجهاد عند أكثر العلماء، والأجر على قدر التعب والنصب)) [الزُّرْنُوجي: ٨٥].

وأكدت التجارب صدق ما ذهب إليه الزُّرْنُوجي من أهمية النية والعزم على التعلم، وأثرها فيه ((إن النية، والتصميم، والعزم لدى المتعلم يؤثر في مستوى الاحتفاظ. إذ كلما كانت النية، والعزم على التعلم والتذكر أكبر استطاع المتعلم أن يتعلم، ويتذكر، ويحتفظ أكثر مما لو كان غير مصمم على ذلك. ففي إحدى التجارب أخذت مجموعتان من الطلاب: المجموعة الأولى كان لدى أفرادها نية، وعزم على التعلم والاحتفاظ. والمجموعة الثانية لم يكن لدى أفرادها مثل هذه الرغبة والوضعية الإرادية في التعلم. وبعد إخضاع المجموعتين للتجربة تبين أن كمية المعلومات التي تم الاحتفاظ بها بعد التعلم كانت أكبر لدى المجموعة الأولى، وسبب ذلك يعود إلى أن النية والعزم والتصميم تشيع حالة نفسية لدى المتعلم تجعله أكثر استعداداً وتهيؤاً وأكثر قدرة على التوجه الانتقائي في المادة مما ينعكس إيجابياً على التعلم والاحتفاظ)) [منصور:١٩٩٣، ١٧١-١٧٢].

وتحدث الزُّرْنُوجي عن **التوكل**، فبين أهميته في تعزيز إخلاص النية، فطلب إلى المتعلم عدم الاهتمام بأمر الرزق فيما يتعلق بحاجاته الأساسية، من الطعام والشراب واللباس إلخ إيماناً منه بأن التعلق بمثل هذه الحاجات، والاهتمام بشأنها إلى تقديمها على طلب التعلم، يضعف من استعداد المتعلم، ويعوقه عن مواصلة تعلمه؛ لأن شغل قلبه وذهنه بها يؤثر في تعلمه ووصوله إلى أعلى رتب العلم. قال الزُّرْنُوجي: ((ثم لا بد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم، ولا يهتم لأمر الرزق،

ولا يشغل قلبه بذلك. روى أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن عبد الله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ: ((**من تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب**)) [الأصبهاني: ١٤١٥هـ، ٢٥/١،وقال فيه:هذا لا يعرف له مخرج إلا من هذا الوجه عن عبد الله ابن الحارث، وهو مما تفرد به محمد بن سماعة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، وقد روي عن النبي ﷺ عن طريق آخر ما يجانس هذا المتن، وهذا أيضاً حديث غريب].

فإن من اشتغل قلبه بأمر الرزق؛ من القوت، والكسوة قلما يتفرغ لتحصيل مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور(...) ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع، ولهذا اختاروا الغربة)) [الزُّرْنُوجي: ٨٤-٨٥].

وهذا لا يعني أن الزُّرْنُوجي يدعو المتعلم إلى التواكل، وترك تحصيل أسباب المعاش، وإنما يطلب إلى المتعلم ألا يتعلق بها تعلقاً يؤثر في تحصيله من جهة، وأن يعتقد بأن تحصيل العلم وطلبه هو من أهم الأسباب الجالبة للرزق من جهة أخرى. لذلك ينصح المتعلم بأن يهتم بالأسباب المادية والمعنوية الجالبة للرزق، كالعبادات بقوله: ((وأقوى الأسباب الجالبة للرزق: إقامة الصلاة بالتعظيم، والخشوع، وتعديل الأركان، وسائر واجباتها، وسننها وآدابها(...) والمداومة على الطهارة، وألا يتكلم بكلام لغو غير مفيد لدينه ودنياه)) [الزُّرْنُوجي: ١١٠-١١١]. إذ إن العبادة تزود المتعلم بالقدرة المعنوية والنفسية، وتدفعه إلى مزيد من الحركة والإنجاز، وإقبال أكبر على التعلم ((ويلمس المربون تأثر الإنسان وانجذابه إلى الأعمال الخيرية وممارستها عند مخاطبة فطرته، وبيان حاجته إلى الخالق، وعند إثارة معاني الاستقامة في نفسه، وانسجامها مع تطلعاته العميقة، وراحته، واستقراره على المستوى البعيد)) [النغيمشي: ٢٠٠٣، ١٣٩].

((والنية باعتبارها ظاهرة نفسية لها دورها في كثير من مظاهر الحياة النفسية والعقلية عند الإنسان محتاجة إلى استمرار دراستها ووصلها ببحوثنا الحديثة في علم النفس ذلك أننا –فيما يبدو– قد أغفلنا النظر فيها؛ لأنها لم تحتل مكاناً بارزاً في الفكر الغربي الحديث في علم النفس، وفي التعلم بصفة خاصة)) [عثمان: ١٩٨٩، ١٠٤].

ويلاحظ مما سبق أن **النية والتوكل** يسهمان في توفير استعداد مناسب للتعلم عند المتعلم، وتنميته فيه، بالإضافة إلى **الورع** الذي يشكل عاملاً رئيساً في خلق الاستعداد للتعلم، وتيسيره ، وانتفاع المتعلم به، لذلك يربط الزُرْنُوجي بين الورع بصفته حالة وجدانية أو انفعالية، وأثره في تيسير التعلم، والاستفادة من الورع فيه، بقوله: ((فمهما كان طالب العلم أورع، كان علمه أنفع، والتعلم له أيسر، وفوائده أكثر)) [الزُرْنُوجي: ٩٧]. ثم ذكر الزُرْنُوجي ثمرة الورع الذي يمكن أن ينمي استعداد المتعلم للتعلم، والعزم عليه، بقوله: ((وهكذا كانوا يتورعون، فلذلك وفقوا للعلم والنشر حتى بقي اسمهم إلى يوم القيامة)) [الزُرْنُوجي: ٩٨]. ثم فصل الزُرْنُوجي في الوسائل التي تجعل طالب العلم أكثر ورعاً؛ كالاحتراز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع، وتجنب أهل الفساد والمعاصي، والمواظبة على الفرائض، والاهتمام بآدابها وسننها [الزُرْنُوجي: ٩٧-٩٩].

وأشار الزُرْنُوجي إلى أهمية **مواظبة المتعلم** على التعلم في تنمية استعداده، واستيعابه، بقوله: ((قال أبو حنيفة لأبي يوسف رحمهما الله تعالى: كنت بليداً فأخرجتك المواظبة ، وإياك والكسل، فإنه شؤم، وآفة عظيمة)) [الزُرْنُوجي: ٥٦-٥٧]. وقال أيضاً: ((فينبغي للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجِدّ والمواظبة، بالتأمل في فضائل العلم)) [الزُرْنُوجي: ٥٨]. وقال أيضاً: ((ولابد لطالب العلم من المواظبة على الدرس، والتكرار في أول الليل وآخره)) [الزُرْنُوجي: ٥٣].

٣/٣/٢- متطلبات المواظبة التي تنمي الاستعداد للتعلم برأي الباحث

والمواظبة تتطلب من المتعلم أمرين كي تؤتي ثمارها: الأول: مجاهدة المتعلم نفسه بوعي على المضي في تعلمه كي يصل إلى هدفه، إذ إن المجاهدة تنمي في المتعلم الاستعداد، وترسخ فيه العزم على مواصلة التعلم، إذ إن ثمرات الأعمال، ونتائجها الطيبة مسبوقة بمدى مجاهدة الإنسان نفسه. قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝﴾[العنكبوت:٦٩].

ولا بد من إرادة جازمة تصبّر المتعلم على تحمل مشاق تحصيل العلم، عند مجاهدة نفسه، ووعي المتعلم، وبصيرته بنفسه كي لا يكلفها مالا تطيق، فيرفق بها، قال الزُرْنُوجي: ((ولا يجهد

نفسه جهداً، ولا يضعف النفس حتى تنقطع عن العمل، بل يستعمل الرفق في ذلك، والرفق أصل عظيم في جميع الأشياء))[الزُّرْنُوجي:٥٤].

الثاني: التكرار الدائم للسلوك حتى يصير عادة منطبعة في نفس المتعلم، ومن ثم يتأثر بالمواظبة التي تؤثر بدورها في سلوكه. وأكد الغزالي هذه المعاني بقوله: ((لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق، أو استلذاذ الطاعة، واستكراه المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام في جملة العمر. وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل، والنفس أزكى وأطهر، والأخلاق أقوى وأرسخ، وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب. **ويتأكد التأثير بكثرة المواظبة على العبادات، وغاية** هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا، ويرسخ فيها حب الله تعالى... فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة)) [الغزالي:٣/٥١].

٢/٣/٤- الاستعداد للتعلم وعناصره في القرآن والسنة.

إن القرآن الكريم دعا الإنسان إلى تأصيل عادة **المواظبة على الأفعال** المشروعة، للقيام بالواجبات من خلال الترغيب بفعلها بشكل دائم قال الله ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[البقرة:٢٣٨]. وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[المؤمنون:٩]. فقد أمر الله تعالى في هذه الآيات وغيرها كثير بالمحافظة على الصلاة، وإقامتها التي تحتاج إلى تكرارها خمس مرات في اليوم والليلة بأوقاتها المحددة. فالمحافظة على الصلاة، والمبادرة إلى فعلها، والمواظبة عليها تربي في المتعلم الاستعداد للقيام بها، والاستزادة منها، وتغرس فيه العزم على المداومة عليها. لذا فإن الله عز وجل نهى الإنسان عن التراخي في أداء الصلاة والسهو عنها حتى يخرج وقتها، أو يتركها؛ لأن عادة تأخيرها أو تركها تورث الاستعداد لملازمة تركها. قال الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[الماعون: ٤-٥]. وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾[النساء:١٠٣].

ذكر النبي ﷺ أهمية مجاهدة الإنسان نفسه، لخلق الاستعداد فيها، وتنميته من أجل ترسيخ سلوك مرغوب فيه، أو نبذ سلوك غير مرغوب فيه، أو محاولة تعديل السلوك غير المرغوب فيه،

وتحويله إلى سلوك مرغوب فيه، عن طريق مجاهدة النفس في تكرار السلوك المرغوب فيه بشكل عملي، تنمي قدرة الشخص، واستعداده للتغيير. فقد أشار النبي ﷺ إلى تلك المعاني بأحاديث عدة، منها قوله ﷺ: ((**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**))[مسلم: كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله: ٢٠١٣/٤].

ففي الحديث دلالة واضحة على استعداد المتعلم لتغيير موقفه السلوكي من الكذب، وتوجيهه إلى الصدق، إذا ما عزم على ذلك، وقرن العزم بالتدريب العملي الذي يقوم على تحري الفرد الصدق في أقواله وأفعاله. ((ودل الحديث أيضاً على أن خلق الصدق في حياة الإنسان قابل للاكتساب، وقابل للتنمية، والترسيخ، عن طريق التدريب العملي المقترن بالإرادة الجازمة. فمن مظاهر الإرادة الجازمة تحري الصدق لنفسه أن يلقي كلاماً جزافاً دون تروٍ، ولا بصيرة، لا يسمح لنفسه بأن يتبع ما ليس له به علم، فيحكم بالظنون التي ليس لها ما يدعمها، ويؤيدها من الأدلة الكافية للإثبات أو للنفي، ولا يسمح لنفسه بأن يرائي، أو ينافق في أعماله؛ لأن خلقه الصدق، وهو يتحرى بإرادته الجازمة الصدق في أقواله وأعماله، وعندئذٍ يكون صديقاً... ودل هذا الحديث أيضاً على أن خلق الكذب في حياة الإنسان قابل للاكتساب، وقابل للتنمية، والترسيخ، عن طريق التدريب العملي المقترن بالإرادة الجازمة... وتحري ممارسة الكذب ظاهرة من ظواهر الإرادة الجازمة، وبتكرار ممارسة الكذب تكتسب العادة، ثم تتحول العادة إلى خلق راسخ، وعندئذٍ يكتب عند الله كذاباً، ومن غدا كذاباً هانت لديه معظم أعمال الفجور، فدفع به الكذب إلى النار)) [حبنكة: ١٩٧٩، ٤٩٠/١-٤٩٢].

وأكد القرآن الكريم أهمية استعداد المتعلم للتعلم، حيث ربى الأفراد على استعداداتهم للتعلم قبل أن يبين لهم ما ينبغي تعلمه من الحلال والحرام، وكان ذلك سمة القرآن المكي[1] الذي اتصف

(١) القرآن المكي: سور القرآن أو آيات منه نزلت بمكة المكرمة.

بالتركيز على تقرير أصول العقائد الإيمانية؛ من توحيد الله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، والملائكة، والرسل، والحملة على الشرك، وإقامة الحجج والبراهين الدامغة على بطلان العقائد الزائفة، والاستدلال بدلائل الأنفس والأكوان على عظمة الله تعالى وسلطانه، ووجوب طاعته، والانقياد إليه، والإيمان بالقيامة، والبعث كما اهتم القرآن المكي بقصص الأنبياء مع أقوامهم من أجل تثبيت النبي ﷺ والمسلمين، ومواساتهم، وتنمية استعدادهم للصبر على ما يمكن أن يحل بهم من أعدائهم، وتقوية عزمهم للوقوف ضدهم. والآيات القرآنية التي تحدثت عن السمات السابقة كثيرة [انظر تفصيلها: عتر: ١٩٩٣، ٦٠-٦٥]. اهتمت بغرس العقيدة في نفوس الأفراد أولاً، ومن ثم خلقت الاستعداد فيهم، وهيأتهم لتقبل الأحكام الشرعية في المجالات كافة؛ العبادات؛ كالصلاة، والصوم، والمعاملات، والأحوال الشخصية التي بحث تفاصيلها القرآن المدني[1] بعد أن أصبح الفرد مستعداً ومهيأً للعمل بها، وقد بيّن النبي ﷺ الحكمة التربوية من هذا المنهج القرآني بقوله: ((إنما نزل أول ما نزل منه -القرآن سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً)) [البخاري: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: ١٩١٠/٤].

وكان النبي ﷺ يتحرى استعداد المتعلمين، وقدرتهم على التعلم، ويكلفهم بتعلم ما يستطيعون، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((إنما تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية -أو قال: السريانية، فقلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة)) [الطبراني في الكبير: ١٥٥/٥، ونحوه عند البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الفرائض، باب ترجيح قول زيد: ٢١١/٦، والترمذي: كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعلم السريانية: ٦٧/٥، وقال الترمذي في وجه آخر للحديث: هذا حديث حسن صحيح] وقول النبي ﷺ لذلك الرجل الذي سأله مرافقته في الجنة، فقال له النبي ﷺ: ((**أعني على نفسك بكثرة السجود**)) [الطبراني في الكبير:٣٩٩/٥، وقال عنه في مجمع الزوائد: ٣٩٩/٩، رواه البزار، وأوله يشبه أن يكون مرسلاً في أثناء الحديث. قال: قال أبو مصعب: فالظاهر أنه سمعه منه والله أعلم.

(١) القرآن المدني: سور القرآن أو آيات منه نزلت بالمدينة المنورة.

ورجاله رجال الصحيح غير طالوت بن عبادة، وهو ثقة]. فالنبي ﷺ دل الرجل على السبب الرئيس لمرافقته في الجنة، وهو قدرته، واستعداده، ومجاهدته نفسه للقيام بفرض الصلاة والإكثار من نوافلها.

٢/٤- الاستمرار في التعلم

٢/٤/١- أهمية الاستمرار في التعلم وثمراته

تحدث الزُّرْنوجي عن أهمية الاستمرار في التعلم، والمواظبة عليه، وشبهه بالصناعة التي تحتاج دائماً إلى الاستمرار فيها من أجل تنميتها، وتطويرها. فقال: ((وينبغي لطالب العلم ألا يشتغل بشيء آخر غير العلم، ولا يُعرض عن الفقه)). قال محمد بن الحسن رحمه الله: "إن صناعتنا هذه من المهد إلى اللحد، فمن أراد أن يترك علمنا هذا ساعة، فليتركه الساعة". [الزُّرْنوجي: ٨٦]. وينصح الزُّرْنوجي المتعلم بالمواظبة على التعلم، ويبين أثرها في نفس المتعلم، إذ تنمي فيه العلم، والاستعداد له، وترفع من مستواه العقلي ولأن حياة العلم الاستمرار به، والاستمرار يضمن فاعلية التعلم، وتحقيق نتائج مثلى فيه، والانقطاع عنه يؤثر في مستوى دافعية المتعلم، ومن ثَمَّ تدني مستوى تعلمه؛ لأن الانقطاع يحرم المتعلم من الثبات على ما تعلم، ونمو تعلمه. قال الزُّرْنوجي مبيناً ثمرة الاستمرار في التعلم، ومستشهداً بوصية أبي حنيفة لتلميذه أبي يوسف حيث قال فيها: ((كنت بليداً فأخرجتك المواظبة، وإيّاك والكسل فإنه شؤم، وآفة عظيمة)). [الزُّرْنوجي: ٥٦-٥٧].

وينصح الزُّرْنوجي المتعلم أيضاً بعدم ترك التعلم لفترة، فإن ذلك من شأنه أن يورث الكسل، وفتور الهمة، وتدني مستوى دافعية المتعلم. قال الزُّرْنوجي: ((وينبغي ألا يكون لطالب العلم فترة، فإنها آفة، وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يقول: إنما فقت على شركائي بأني لم تقع لي الفترة في التحصيل)) [الزُّرْنوجي: ٨٢-٨٣]. ويوصي المتعلم أيضاً إذا ما أراد أن يصل إلى أعلى رتب العلم بأن يغتنم في كل وقت تحصيل العلم، والاستمرار فيه. قال الزُّرْنوجي: ((وينبغي أن يكون طالب العلم مستفيداً في كل وقت حتى يحصل له الفضل (...) فينبغي ألا يضيع الأوقات والساعات، ويغتنم الليالي والخلوات)) [الزُّرْنوجي: ٩٤-٩٥].

٢/٤/٢- الوسائل التي تضمن استمرار التعلم

تحدث الزُّرْنوجي عن استمرار التعلم، ووقته الذي يبدأ من المهد، وينتهي بالموت بقوله: ((وقت التعلم من المهد إلى اللحد)) [الزُّرْنوجي:٨٩]. واهتم بذكر الوسائل التي تعزز المتعلم لضمان استمراره في التعلم. ويمكن استنتاج هذه الوسائل من خلال أقواله المتفرقة حول التعلم فيما يأتي:

١/٢/٤/٢- تنويع التعلم

تحدث الزُّرْنوجي عن تنوع التعلم، وأثره في القضاء على سآمة المتعلم، وملله، وبعث نفسه للاستمرار في التعلم، بحيث إذا سئم من علم اشتغل بآخر. قال الزُّرْنوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته، فإذا ملَّ من علم اشتغل بعلم آخر))، وكان ابن عباس ﷺ إذا ملَّ من علم الكلام، يقول: ((هاتوا ديوان الشعراء)). وكان محمد بن الحسن(...) لا ينام(...) وكان إذا ملَّ من نوع ينظر في نوع آخر)) [الزُّرْنوجي:٨٩].

٢/٢/٤/٢- تكرار التعلم

إذا ما أراد المتعلم ضمان ما تعلم، والاحتفاظ به لفترة طويلة، وجب عليه أن يتبع أسلوب التكرار الذي يعوّد المتعلم على التعلم، والاستمرار فيه. قال الزُّرْنوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يعدّ ويقدّر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ)) [الزُّرْنوجي:٨١-٨٢]. وقال أيضاً: ((وينبغي أن يُعَلِّق [يدون] السَّبْق بعد الضبط، والإعادة كثيراً، فإنه نافع جداً)) [الزُّرْنوجي:٦٨]. وقال أيضاً: ((فإنه إذا قلَّ السَّبْق[1] وكثر التكرار والتأمل يُدْرَك ويُفْهم)) [الزُّرْنوجي:٦٨].

إن ما ذكره الزُّرْنوجي، وأشار إليه من التكرار، وعلاقته بالفهم، وأهميته في التعلم، واحتفاظ المتعلم بالمعلومات، وإعادة بنائها، وتجديدها، واستمرارها، وتنظيم تكرارها أكده الباحثون التربويون قال منصور: ((يلعب التكرار دوراً هاماً في عملية التذكر... وأمر لا بد منه لاستكمال

(١) المراد بالسَّبْق الجزء الذي يدرسه المتعلم من المادة الدرسية، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً.

مهمة الاستيعاب الشامل والمتعدد المستويات للمواد الدراسية... فتنظيم التكرار لا يقل أهمية عن التكرار نفسه... فإن المعلومات المتكررة يتم تذكرها جيداً، ويعاد فهمها من جديد، وبالتالي يؤدي التكرار إلى التثبت والتجديد، وإعادة البناء)) [منصور: ١٩٩٣، ٦٨-٦٩].

٢/٤/٢/٣- الصبر على التعلم

أشار الزُّرْنُوجي إلى أن الصبر أساس التعلم، ومنطلقه، فحفظ المتعلم من العلم، والاستمرار عليه، مرتبط بمقدار صبره على تحصيله. قال الزُّرْنُوجي مبيناً أهمية الصبر على التعلم وثمرته: ((فمن صبر على ذلك، وجد لذة تفوق سائر لذات الدنيا)) [الزُّرْنُوجي:٨٦].

بيَّن الزُّرْنُوجي ثمرات الاستمرار في التعلم، التي يمكن تقسيمها إلى قسمين: ثمرات مادية، وثمرات معنوية. **فالثمرات المادية** تتعلق بتنمية التعلم، والتفوق فيه، فقد ذكر الزُّرْنُوجي ذلك من أستاذه الذي تفوق على أقرانه بفضل استمراره في التعلم، والمواظبة عليه، بقوله: ((إنما فقت على شركائي بأني لم تقع لي الفترة في التحصيل)) [الزُّرْنُوجي:٨٩].

أما الثمرات المعنوية فتتمثل في لذة العلم، والتخفيف من شدة سكرات الموت. قال الزُّرْنُوجي: ((وهكذا ينبغي للفقيه أن يشتغل به في جميع أوقاته فحينئذٍ يجد **لذة** عظيمة في ذلك(...) وقيل: رئي محمد في المنام بعد وفاته، فقيل له: كيف كنت في حال النزع(سكرات الموت) فقال: كنت متأملاً في مسألة من مسائل المُكاتَب[1]، فلم أشعر بخروج روحي)) [الزُّرْنُوجي:٨٦-٨٧].

٢/٤/٣- الاستمرار في التعلم في السنة

أشار النبي ﷺ إلى مبدأ الاستمرار في التعلم، وحاجة المتعلم إليه في أحاديث عدة منها:

قوله ﷺ: ((**لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة**)) [الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٥/٥، وقال عنه: حديث حسن غريب].

(١) المُكَاتَب: العبد يتفق مع سيده على مال يقسطه له، فإذا ما دفعه صار حراً.

والمراد بالخير في الحديث العلم ومنه: ((إن زمان الطلب من المهد إلى اللحد، وأن عاقبة طلب العلم الجنة)). وقوله ﷺ: ((**منهومان لا يشبعان منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها**)) [الحاكم: كتاب العلم: ١٩٩٠، ١/٨٦٩، وقال فيه: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والدارمي: باب في فضل العلم والعالم: ١٤٠٧هـ، ١/١٠٨، والطبراني في الكبير: ١٠/١٨٠، والبيهقي في شعب الإيمان، واللفظ له: ٧/٢٧١، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/١٣٥: ((وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف((. وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء: ٢/٢٨٠ بعد أن ذكر روايات أخرى له: كانت مفرداتها ضعيفة، فبمجموعها يتقوى الحديث))]. وجه الاستدلال بهذا الحديث على الاستمرار في طلب العلم هو أن النهمة تدل على شدة الحرص على الشيء، والحرص على حصوله يتطلب الاستمرار في طلبه. فكان طالب العلم حريصاً على طلب العلم. "النهمة شدة الحرص على الشيء... إن ذهب في الحديث إلى الأصل كان لا يشبعان استعارة لعدم انتهاء حرصهما)) [المناوي:١٣٥٦هـ ٦/٢٤٥] وقوله ﷺ: ((**إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد**)) [المنذري: ١٤١٧هـ، ١/٥٤]، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/١٢٤، وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي، وهو متروك] والحديث صريح في الترغيب بطلب العلم حتى الموت.

٢/٥- التغذية الراجعة

٢/٥/١- أهمية التغذية الراجعة

ظهر مفهوم التغذية الراجعة نتيجة للأبحاث التي عملت على تدريب الجنود على الآلات الحربية الحديثة في أثناء الحرب العالمية الثانية، واستعمل في مجالات عدة [الغريب:١٩٦٧، ٣٨٩]. غير أنه اكتسب أهمية خاصة في مجال التعلم، إذ أنه يمكّن المتعلم من التعلم بيسر، ويصحح أخطاءه، ويزيد من ثقة المتعلم في صحة نتائج تعلمه، وتقوية الاستجابات المتعلمة، وتدعيمها [الشرقاوي:١٩٩٨، ٢٨٣. وانظر منصور:١٩٩٣، ٥٨].

٢/٥/٢- مفهوم التغذية الراجعة

وعرّفت التغذية الراجعة تعريفات عدة، منها: (أنها أية معلومات راجعة من مصدرها، تفيد في تنظيم السلوك وضبطه) [منصور:١٩٩٣، ٥٦]؛ أو أنها: (المعلومات التي يتلقاها المتعلم من شخص آخر، يكون مصدرها، وتهدف إلى تعزيز استجاباته إن كانت صحيحة، وإلى تصحيحها إن كانت خطأ، وتقريب أدائه الفعلي من الأداء المطلوب) [منصور:١٩٩٣، ٥٧]؛ أو أنها: (نوع من التفاعل المتبادل بين نوعين أو أكثر من الأحداث، حيث يستطيع حدث معين [استجابة المتعلم] أن يبعث نشاطاً ثانوياً لاحقاً [تقويم استجابة]. وهذا بدوره يؤثر في طريقة مرتدة، أو بأثر رجعي على النشاط أو الاستجابة السابقة، فيعيد توجيهه إذا حاد عن الهدف) [خير الله، الكناني:١٩٩٣، ١٤١، ١٤٢].

للتغذية الراجعة وظائف وأنماط عدة، يمكن ذكر أهمها، ولا سيما التي تفيد في موضوع البحث.

٣/٥/٢- وظائف التغذية الراجعة

١/٣/٥/٢- الوظيفة الإعلامية

تزود التغذية الراجعة المتعلم بمعلومات تمكنه من الحكم على مدى ملاءمة استجاباته، وتوجيهها نحو الأهداف المرغوب فيها، وترشده إلى كيفية الوصول إليها من خلال تأكيد ما هو صحيح، وتثبته من جهة، والكشف عن جوانب القصور، ومواطن الخطأ، وتصحيحها من جهة أخرى [منصور:١٩٩٣، ٥٩].

٢/٣/٥/٢- الوظيفة الدافعية (التشويقية)

إن التغذية الراجعة في مجال تنظيمها بصورة صحيحة تساعد في النهوض بدافعية التعلم، بحيث تعطي التعلم قوة أكبر، وتجعل جهود المتعلم أكثر حماسة، من خلال ما تولده من أنشطة جديدة موجهة، وما تزود المتعلم به من معلومات تضمن له التوجه نحو الأهداف المتوخاة، بصورة

صحيحة، وبقوة متعاظمة في ضوء ما يطلق عليه قانون ((الطاقة المتزايدة)) الذي يقصد به أن الفرد كلما اقترب من هدفه أكثر زاد من الجهود التي يبذلها [منصور:١٩٩٣، ٦٠].

٢/٥/٣/٣- الوظيفة التعزيزية

إن المعلومات التي تحملها التغذية الراجعة عن سلوك ما، من شأنها تقوية هذا السلوك وتثبيته إن كان صحيحاً. كما أنها تجعل إمكان حدوثه أكثر احتمالاً في المستقبل [منصور:١٩٩٣، ٦١].

٢/٥/٣/٤- الوظيفة التصحيحية

إن هذه الوظيفة تعد من أهم وظائف التغذية الراجعة على الإطلاق، إذ إن إعلام المتعلم أن إجابته عن بند من بنود الاختبار غير صحيحة، وبيان أسباب الخطأ، وكيفية تصحيحه، يسبب دوماً تحصيلاً أسرع، ومقاومة للنسيان أكبر [منصور:١٩٩٣، ٦١].

٢/٥/٤- أنماط التغذية الراجعة

ذكر علماء النفس أنماطاً عدة للتغذية الراجعة يمكن ذكر أهمها فيما يأتي:

٢/٥/٤/١- التغذية الراجعة الداخلية والخارجية

٢/٥/٤/١/١- التغذية الراجعة الداخلية: وهي التي يستخلصها المتعلم من خبراته، وممارساته بصورة مباشرة، وهي معلومات نابعة من ذات الإنسان، تؤدي إلى توجيه استجابات المتعلم، وضبط اتجاهاته في العمل، فيدرك بنفسه، ويعتمد على ذاته في معرفة خطئه من صوابه [منصور:١٩٩٣، ٦٢، وانظر: خير الله، الكناني، ١٩٨٣، ١٤٤].

٢/٥/٤/١/٢- التغذية الراجعة الخارجية: هي المعلومات والإشارات التي يقدمها مصدر خارجي؛ كالمعلم، أو المدرب للمتعلم حول مدى نجاحه في أداء مهمة ما، ومستوى إنجازها، مما يؤدي إلى تغيير ما هو خطأ منها، وتعزيزها، وتثبيتها إن كانت صحيحة. وقد تقدم التغذية الراجعة الخارجية بشكل كلام شفوي، أو مكتوب –اختبارات– أو على هيئة عمل، أو على شكل انفعالات أو تعبيرات عاطفية [منصور:١٩٩٣، ٦٢].

٢/٥/٤/٢- التغذية الراجعة المباشرة وغير المباشرة

٢/٥/٤/٢/١- التغذية الراجعة المباشرة: هي تلك المعلومات التي يقدمها أحد أطراف العملية التعلمية التعلمية إلى الطرف الآخر مباشرة –من دون أي وسيط- عن نتائج أعماله.

٢/٥/٤/٢/٢- التغذية الراجعة غير المباشرة: هي تلك المعلومات التي تقدم بطريقة غير مباشرة، وباستخدام وسائط مختلفة؛ كأن تقدم عن طريق شخص، أو وسائل الإعلام. ((إن بعض العلماء يفضلون التغذية الراجعة غير المباشرة في كثير من مواقف التعلم أو العمل، من أجل استبعاد تأثير الموقف ككل، وكذلك العامل الشخصي الخاص بكلا الطرفين. إلا أن غالبية العلماء يفضلون التغذية الراجعة المباشرة، وبخاصة في التعليم والتعلم الصفي، ويرون أنها أكثر فاعلية من التغذية الراجعة غير المباشرة، ولا سيما إذا توفرت عوامل الدقة والحرص والموضوعية من جانب من يقدمها)) [منصور:١٩٩٣، ٦٥].

٢/٥/٤/٣- التغذية الراجعة الفورية والمؤجلة

٢/٥/٤/٣/١- التغذية الراجعة الفورية: تعقب السلوك أو الأداء مباشرة، وتزود المتعلم بالمعلومات أو التوجيهات، أو الإرشادات، أو الإيحاءات اللازمة لتعزيز العمل، أو تعديله أو تصحيحه.

٢/٥/٤/٣/٢- التغذية الراجعة المؤجلة: فهي التي تزود المتعلم بالمعلومات بعد فترة من الزمن على قيامه بالعمل، وقد تطول هذه الفترة أو تقصر على حسب الظروف ومقتضى الأحوال.

إن التغذية الراجعة المؤجلة أكثر فاعلية من التغذية الراجعة الفورية في المهمات التعلمية الصعبة والمعقدة؛ لأنها تتيح فرصة أكبر للتفكير، واكتشاف الأخطاء، وتصحيحها [منصور:١٩٩٣، ٦٥-٦٦].

٤/٤/٥/٢- التغذية الراجعة الإعلامية والتصحيحية

تتخذ **التغذية الراجعة الإعلامية** شكل معلومات تتضمن تقويماً إجمالياً للسلوك بحيث يعرف المتعلم نتائج أفعاله دون أن تتوافر له المسوغات والبراهين الضرورية التي أدت إلى إطلاق هذا الحكم. وتساعد هذه التغذية على تحديد جهة العمل، والمنحى العام له [منصور:١٩٩٣، ٦٧].

إن مجرد إخبار المتعلم بنوع الخطأ الذي ارتكبه يساعده في كيفية تصحيحه، ومن ثَمَّ يسرع في تعلمه [عاقل:١٩٩٠، ١٩٠].

أما **التغذية الراجعة التصحيحية** فتقدم المعلومات للمتعلم فور وقوعه في الخطأ، بقصد مساعدته على تصحيح أدائه، ومن ثم تعريفه بأسباب إجابته الخطأ [منصور:١٩٩٣، ٦٧-٦٨].

((إن أفضل أشكال التغذية الراجعة من حيث الفاعلية في التعلم، ورفع مستوى تحصيل الطلبة الدراسي هو معرفة الطلبة للإجابات الصحيحة والخاطئة وتصحيح الإجابات الخاطئة، ومناقشة الإجابات الصحيحة والخاطئة)) [أبانمي:١٩٩٤، ٦٣].

يستشف مما قال الزَّرْنُوجي الإشارة إلى مضمون بعض أنماط التغذية الراجعة، ووظائفها. فأشار إلى الوظيفة التعزيزية للتغذية الراجعة حينما ربط بوضوح بين ذكر الله ﷻ وأثره في دفع البلاء عن المتعلم من جهة، وربطه بين الدعاء واستجابته من جهة أخرى. قال الزَّرْنُوجي: "ينبغي لكل مسلم أن يشتغل في جميع أوقاته بذكر الله تعالى، والدعاء، والتضرع، وقراءة القرآن، والصدقات الدافعة للبلاء... ليصونه من البلاء والآفات، فإن من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة" [الزَّرْنُوجي:٢٤].

يستنتج مما قال الزَّرْنُوجي الإشارة إلى مضمون التغذية الراجعة؛ الداخلية، والخارجية، والتصحيحية، والفورية، في عدة نصوص. ففي التغذية الراجعة الخارجية يقول: ((وإيّاك أن تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنه يبعد الطالب عن الفقه، ويورث الوحشة والعداوة)) [الزَّرْنُوجي:٣٢-٣٣]. فيلاحظ في هذا النص أن الزَّرْنُوجي حذّر المتعلم من الخوض بالجدل العقيم، وبيّن آفة الاشتغال به، من حيث إبعاد المتعلم عن العلم، وتضييعه العمر

فيما لا ينفع، وتوريثه العداوة مع أقرانه، وبذلك يكون قد قدم بعض المعلومات للمتعلم عن ثمرة الجدل من أجل تثبيت سلوكه بالابتعاد عن الجدل من ناحية، وتغيير سلوكه الخطأ فيما إذا اشتغل بالجدل من ناحية أخرى. وفي ذلك أيضاً إشارة إلى التغذية الراجعة الفورية والمباشرة، إذ بيّن للمتعلم نتائج عمله وحكم عليها، فيما إذا قام بالجدل.

ويستشف مما قال الزُّرْنوجي أيضاً إشارته إلى مضمون التغذية الراجعة الخارجية في نصوص أخرى منها: قوله: "ثبت بهذا الحديث[1] أن ارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق، خصوصاً الكذب، فإنه يورث الفقر" [الزُّرْنوجي:١٠٧]، وقوله: ((نوم الصبحة يمنع الرزق، وكثرة النوم تورث الفقر، وفقد العلم)) [الزُّرْنوجي:١٠٧-١٠٨]، وقوله: ((وحسن الخط من مفاتيح الرزق، وبسط الوجه، وطيب الكلام يزيد في الحفظ والرزق)) [الزُّرْنوجي:١٠٨] فيلاحظ في هذه النصوص أن الزُّرْنوجي يعطي المتعلم معلومات من شأنها أن تغير من سلوكه غير المرغوب فيه، وتثبيت سلوكه الصحيح.

ويستنبط مما قال الزُّرْنوجي إشارته إلى مضمون التغذية الراجعة الداخلية، حينما نقل عن أبي حنيفة سبب إدراكه أعلى رُتَب العلم، فقال: ((قال أبو حنيفة: إنما أدركت العلم بالحمد والشكر، فكلما فهمت شيئاً من العلوم، ووقفت على فقه وحكمه، قلت: الحمد لله، فازداد علمي)) [الزُّرْنوجي:٧٧]. فبين الزُّرْنوجي أن سبب إدراك أبي حنيفة العلم، وممارسته له هو شكر الله تعالى على نعمه. وهذا الشكر الذي مارسه أبو حنيفة بصورة مباشرة، ووصل بخبرته التي نبعت من ذاته إلى أن هذا الشكر قد ضبط عمله، ووجه استجاباته حتى حصل على أعلى مراتب العلم.

يمكن الاستنتاج مما قاله الزُّرْنوجي أيضاً إشارته إلى مضمون التغذية الراجعة التصحيحية والفورية، حينما نقل عن أبي حنيفة أنه رأى كاتباً يقرمط في الكتابة، حيث يضيق الفراغ بين السطور، ويقارب بين الكلمات، من أجل ترشيد استهلاك الورق، فأرشده إلى ترك السلوك

---

(١) يقصد بذلك الحديث قوله ﷺ: **((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))** [ابن ماجه: كتاب الفتن، باب العقوبات: ١٣٣٤/٢، والحاكم: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والذكر: ٦٧٠/١، وقال عنه: ((صحيح الإسناد))، وقال عنه الكناني في مصباح الزجاجة: ١٨٧/٤: ((إسناده حسن))].

الخطأ، وبيّن له نتائج عمله التي تمثلت في ندامتة في الحياة، بسبب كبر سنه، وضعف بصره اللذَيْن يمنعانه من قراءة ما كتب بنفسه، بالإضافة إلى شتم الناس له بعد موته؛ لأنهم قد لا يحسنون قراءة ما كتب، بسبب صغر الخط، ومقاربة السطور... ومن ثَمَّ فإن إخبار المتعلم بخطئه والنتائج المترتبة عليه، وضرورة تصحيح هذا الخطأ، وعدم ممارسة هذا السلوك مستقبلاً ليشير أيضاً إلى التغذية الراجعة الإعلامية والتصحيحية والفورية. قال الزُّرْنُوجي: ((ومن التعظيم الواجب –للكتاب– أن يجود كتابة الكتاب، ولا يقرمط، ويترك الحاشية إلا عند الضرورة، ورأى أبو حنيفة رحمه الله تعالى كاتباً يقرمط في الكتابة، فقال: لِمَ تقرمط خطك؟! إن عشت تندم، وإن مُت تُشتم!! يعني إذا شخت وضعف بصرك ندمت على ذلك)) [الزُّرْنُوجي:٤٦].

نستشف مما قال الزُّرْنُوجي أيضاً إشارته إلى مضمون التغذية الراجعة التصحيحية والخارجية والفورية حينما تحدث عن المناظرة والمذاكرة اللتين تساعدان المتعلم على معرفة خطئه، أو الإخبار عن خطأ غيره، وبيان أسبابه، ومن ثم تصحيحه. ففي المذاكرة يراجع المتعلم ما كتبه، وفي أثناء المراجعة يناقش المتعلم المعلومات، ويتأملها، ويكون ذلك حينئذٍ داعياً له لكشف خطئه، والعمل على تصحيحه. وفي المناظرة التي تتم غالباً بين مختلفي الرأي يمكن للمتعلم أن يعرف خطأ غيره، فيصحح له فوراً، أو خطأ نفسه عن طريق غيره، وحينئذٍ يتم تزويد كل طرف بالمعلومات التي تعزز استجاباته الصحيحة، وتصحح استجاباته الخطأ.

٢/٥/٥– التغذية الراجعة في القرآن والسنة

٢/٥/٥/١– التغذية الراجعة في القرآن

لقد ورد النص على مضمون مبدأ التغذية الراجعة وبعض أنماطها، ووظائفها في القرآن الكريم والسنة النبوية. فمن القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[آل عمران:١٣٥-١٣٦]. ففي الآية الكريمة إشارة إلى التغذية الراجعة التصحيحية والإعلامية، والفورية، والمؤجلة. فبيان الله تعالى أن فعل الفاحشة أو ظلم النفس، وإعلام الإنسان

أن ذلكم من الذنوب فيه تغذية راجعة إعلامية، ومن ثَمّ فإن معرفة الإنسان لهذا الخطأ، والعمل على تصحيحه عن طريق الاستغفار من الذنوب فيه تغذية راجعة تصحيحية، وإذا قام الإنسان بالاستغفار من الذنوب مباشرة عقب ارتكابها فإن في ذلك تغذية راجعة فورية.

وفي الآية الكريمة أيضاً تجلت وظائف التغذية الراجعة، الوظيفة الإعلامية من حيث تزويد الإنسان بمعلومات عن الذنوب وكيفية التوبة منها، وتوجيهه نحو السلوك الحسن المتمثل في لزوم الاستغفار والتوبة بعد كل معصية، والوظيفة التعزيزية من حيث إن الآية بعثت في نفس الإنسان حب التوبة والاستغفار، وعززت فيه هذا السلوك الذي يمكن أن يحدث كلما فعل الإنسان ذنباً والوظيفة التشويقية التي تمثلت في دفع الإنسان الذي فعل معصية إلى ذكر الله تعالى، والاستغفار والتوبة من أجل أخذ الجزاء بمغفرة الله عز وجل للإنسان، وإعطائه النعيم المقيم؛ من جنات وأنهار يوم القيامة.

وقوله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[المائدة:٨٩]. بينت الآية الكريمة أن اليمين المنعقد[(١)] تستوجب الكفارة عند الحنث، وفي ذلك تغذية راجعة إعلامية، من حيث إخبار الإنسان بأن الحلف بالله إذا توافرت شروط ذلك —إذ لم يبر به صاحبه فيه الكفارة. وتصحيحية من حيث معرفة الإنسان الخطأ وسببه، ومحاولة تصحيحه بوجود البديل، وهو أداء الكفارة.

---

(١) اليمين بالله ثلاثة أنواع: يمين منعقدة، ويمين لغو، ويمين غموس. فاللغو: أن يحلف على شيء يظنه كما حلف، فلم يكن كذلك. مثل قول الحالف: ((والله ما كلمت زيداً)) وفي ظنه أنه لم يكلمه؛ وهو بخلاف الواقع. أو هي اليمين التي يسبق اللسان إلى لفظها بلا قصد لمعناها، كقول الحالف: ((لا والله، بلى والله)). واليمين المنعقدة أو المؤكدة: هي أن يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله، أو لا يفعله، وحكم هذه اليمين وجوب الكفارة عند الحنث. والحنث: مخالفة ما حلف عليه من نفي أو إثبات. واليمين الغموس: هي الحلف على أمر ماضٍ أو في الحال متعمداً الكذب فيه نفياً أو إثباتاً، كقول الحالف: ((والله ما دخلت الدار)) وهو يعلم أنه دخلها. يأثم صاحبها، وهي من الكبائر[الزحيلي:١٩٨٩، ٣٦٣/٣-٣٦٥].

٢/٥/٥/٢- التغذية الراجعة في السنة

ومن السنة النبوية أحاديث عدة، تؤكد مضمون مبدأ التغذية الراجعة، منها:قوله ﷺ لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن قاضياً، فقال له: ((**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن بسنة رسول الله؟ قال: أجتهد برأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله بيده صدري، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله**)) [الترمذي: كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي يصيب و يخطئ:٦١٦/٣، وقال عنه: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. البيهقي في السنن الكبرى: كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي:١١٤/١٠، أبو داود: كتاب الأقضية، باب القاضي يقضي وهو غضبان:٣٠٣/٣، الدارمي: كتاب المناقب، باب الفتيا وما فيه من الشدة:٧٢١/١].

في هذا الحديث إشارة إلى التغذية الراجعة الخارجية والفورية، إذ إن النبي ﷺ قدّم معلومات لمعاذ بن جبل، بيّن فيها أنه ستعرض له خصومات، وعليه أن يقضي فيها بين الناس، وأراد النبي ﷺ أن يعرف سلوك معاذ في القضاء، وكيفية قضائه؛ ومدى اعتماده على مصادر الشريعة، من أجل تثبيت استجابته الصحيحة، وتغيير استجابة الخطأ. ولما استطاع معاذ الإجابة عن كل الأسئلة الموجهة له، بشكل صحيح فإن النبي ﷺ عزز استجابته الصحيحة فوراً مستخدماً في ذلك التغذية الراجعة الفورية.

واستعمل الصحابة مبدأ التغذية الراجعة أيضاً وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، فقد قبل النبي ﷺ التغذية الراجعة التصحيحية الفورية من الصحابي الحباب بن المنذر، في غزوة بدر حينما اختار النبي ﷺ موقعاً لمحاربة الكفار في أرض بدر، فسأله الحباب عن هذا الموقع، هل نزل فيه وحي أو لا قال الحباب: ((**أشرت على رسول الله ﷺ يوم بدر بخصلتين، فقبلهما مني، خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر فعسكر خلف الماء، فقلت يا رسول الله أبوحي فعلت؟ أو برأي، قال: برأي يا حباب. قلت: فإن الرأي أن تجعل الماء خلفك، فإن لجأت لجأت إليه، فقبل ذلك مني**))[الحاكم في المستدرك:٤٨٢/٢].

وقد قبل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أيضاً التغذية الراجعة التصحيحية الفورية حينما أراد أن يحدد مهور النساء، فقامت إليه امرأة فقالت له: ما ذاك لك!! قال عمر: ولمَ؟ قالت: لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝﴾[النساء:٢٠] والقنطار المال الكثير [الكاندهلوي:١٩٩٩، ١٦٣/٣]. فقال عمر: ((أصابت امرأة وأخطأ عمر)).

وقد أشار النبي ﷺ أيضاً إلى التغذية الراجعة الخارجية المؤجلة حينما جاء إليه أناس من الصحابة يسألونه عما أخذوه من الشاء الغنم من بعض أحياء العرب الذين لم يضيفوهم، إذ لدغ سيد أولئك القوم، فطلبوا إلى الصحابة أن يقرأوا عليه الرقية[1]، فامتنع الصحابة عن ذلكم حتى يعطوهم أجراً عليها، فقرأوا على الرجل فشفي، وأعطوهم الشاء، فقال الصحابة: لا نأخذها حتى نسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فسألوه، فضحك ﷺ وقال: ((**وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي معكم بسهم**)) [البخاري: كتاب الطب، باب الرقي بالقرآن والمعوذات:٥/٢١٦٦].

فيلاحظ أن النبي ﷺ زود الصحابة بمعلومات حول أدائهم العلم (الرقية) بعد فترة من الزمن، أتاحت لهم فرصة للتفكير في مدى مشروعية ما أخذوه من الشاء، فحينئذٍ جاءت التغذية الراجعة المؤجلة من النبي ﷺ بإقرارهم على صنيعهم، وتعزيز استجابتهم الصحيحة.

٢/٦- التدرج في التعلم ومراعاة الفروق الفردية

تهتم المدرسة التربوية الحديثة بمزاج المتعلم، وسيرته الماضية، وتطلعاته المقبلة، وميوله وقدراته، واستعداداته، وتترك له مجالاً كبيراً من الحرية في اختيار مواد الدروس ولا سيما في المرحلة الثانوية، وتتيح له أن يحقق كامل إمكانياته التي تميزه من سواه. وتراعي هذه المدرسة قرارات المتعلمين فلا تطلب من أضعفهم الجهد الذي تطلبه من أقواهم، فتخلق بذلك لدى الضعيف اليأس وروح العجز، أو تطلب على العكس إلى أقواهم الجهد الذي يقوى عليه أدناهم، فيخلق لدى الأقوى روح الملل حين لا يستثمر كامل إمكاناته.[عبد الدائم، ١٩٨٤، ٥٣٤-٥٣٥].

(١) الرقية: قراءة شيء من القرآن أو الأذكار على المريض من أجل الاستشفاء.

تحدث الزُّرْنوجي عن التدرج في التعلم وضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. فيرى الزُّرْنوجي أنه ينبغي أن تكون أنشطة التعلم وممارساته متدرجة، فطلب من المعلم أن يقدّم للمتعلم المبتدئ ما يناسب قدراته، وما يكون أقرب إلى فهمه، وطلب أيضاً الأمر ذاته من المتعلم، فأرشده إلى أهمية التدرج في التعلم فقال: ((قال مشايخنا ــ رحمهم الله تعالى ــ : ينبغي أن يكون قدْر السَّبْق للمبتدئ قدْر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق. ويزيد كل يوم كلمة حتى وإن طال السَّبْق وكثر يمكن ضبطه بالإعادة مرتين. ويزيد بالرفق والتدريج)) [الزُّرْنوجي: ٦٧]. وقال أيضاً موصياً المعلم والمتعلم باختيار الكتب البسيطة في أثناء عملية التعليم والتعلم: ((وينبغي أن يبتدئ بشيء يكون أقرب إلى فهمه (......) والصواب عندي في هذا ما فعله مشايخنا ــ رحمهم الله تعالى ــ فإنهم كانوا يختارون للمبتدئ صغارات ((المبسوط))[1]؛ لأنه أقرب إلى الفهم والضبط، وأبعد عن الملالة، وأكثر وقوعاً بين الناس)) [الزُّرْنوجي: ٦٨].

وأشار الزُّرْنوجي إلى مبدأ التدرج أيضاً حينما ذكر وصية بعض علماء الحنفية لابنه أن يحفظ كل يوم شيئاً يسيراً من العلم، فقال: ((ووصى الصدر الشهيد حسام الدين ابنه شمس الدين أن يحفظ كل يوم شيئاً يسيراً من العلم والحكمة، فإنه عن قريب يكون كثيراً)) [الزُّرْنوجي: ٩٥].

ومن خلال كلام الزُّرْنوجي السابق يبدو أن ((الزُّرْنوجي بهذا الاتجاه قد سبق كثيراً من علماء التربية المحدثين في وضع قواعد التدريس الناجح الذي ينص على أن طريقة التدريس ينبغي أن تراعي القواعد العامة، مثل: التدرج من السهل إلى الصعب، والتدرج من البسيط إلى المركب، والتدرج من الواضح إلى المبهم، والتدرج من المحسوس إلى المعقول)) [أحمد، ١٩٨٦، ٥٥].

وطلب الزُّرْنوجي من المتعلم أن يتدرج بطلبه العلم على وفق الأهم فيما يحتاج إليه، من أمر دينه، فيتعلم علم الحال (الفرض العيني) الذي يقوم على تعلم ما يُصلح به المتعلم حاله، من عقيدة، وعبادة، وتربية. قال الزُّرْنوجي: ((ينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه، مما يحتاج إليه

(١) المبسوط: الكتب البسيطة.

في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المآل، فيقدم علم التوحيد والمعرفة، ويعرف الله تعالى بالدليل (.....) ويختار العتيق[1] دون المحدثات)) [الزُّرْنُوجي: ٣٢].

وطلب الزُّرْنُوجي أيضاً من المتعلم أن يتدرج في تعلم الأمور الأساسية من الفرائض أولاً، ومن ثَمَّ يتعلم ما يتعلق بهذه الفروض من فروع. قال الزُّرْنُوجي: ((وإنما يفترض عليه طلب "علم الحال" (......) فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدي فرض الصلاة (......) وكذلك في الصوم، والزكاة إن كان له مال، والحج إن وجب عليه، وكذلك في البيوع إن كان يتجّر)) [الزُّرْنُوجي: ٢٠].

ويستشف من كلام الزُّرْنُوجي الذي مرّ آنفاً عن مراعاة حال المتعلم المبتدئ، من حيث تقدير الحصة الدرسية (السَّبق) بما يمكنه من حفظها وفهمها، وإعادتها، ومن ثم يتدرج بالزيادة على وفق حاله، بالنص على مبدأ مراعاة الفروق الفردية. بالإضافة إلى توجيه المتعلم بتفويض أمره إلى المعلم، ليختار له نوع العلم الذي يناسبه؛ لأن معرفة المعلم وتجاربه، تفيد في معرفة طبيعة المتعلم، وما يصلح لها. واستدل لذلك بما حكي عن البخاري أنه بدأ بتعلم الفقه عند محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وبعد معرفة محمد بن الحسن طبيعة البخاري أرشده إلى علم الحديث،فطلبه، ثم صار فيه عالماً، قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي لطالب العلم ألا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوض أمره إلى الأستاذ، فإن الأستاذ قد حصل له التجارب في ذلك، فكان أعرف بما **ينبغي لكل أحد، وما يليق بطبيعته**)) [الزُّرْنُوجي: ٤٨].

وقال الزُّرْنُوجي أيضاً: ((وكان يحكى أن محمد بن إسماعيل البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ كان بدأ بــ(كتاب الصلاة) على محمد بن الحسن، فقال له محمد ــ رحمه الله تعالى ــ : اذهب وتعلم علم الحديث؛ لما **رأى أن ذلك أليق بطبعه**، فطلب علم الحديث، فصار فيه مقدّماً على جميع أئمة الحديث)) [الزُّرْنُوجي: ٤٨].

---

(١) العتيق: فسّره ابن اسماعيل شارح كتاب تعليم المتعلم بأنه علم النبي ﷺ وأصحابه والتابعين، أي: علم الحديث ومصطلحه. [العمايرة، ٢٠٠٠، ٣٠٢].

وأشار الزُّرْنُوجي إلى ضرورة الاهتمام بوقت التعلم، ومراعاة حال المتعلمين فيه حينما روى حكاية بعض علماء الحنفية أنه جعل وقت السَّبْق أو الحصة الدرسية في وقت الضحى لبعض أبنائه، وكان هذا الوقت لا يناسب طبيعتهم. قال الزُّرْنُوجي: ((وكان يحكى أن الصدر الأجل برهان الأئمة[1] ـــ رحمه الله تعالى ـــ جعل وقت السبق لابنيه الصدر الشهيد حسام الدين (عمر بن عبد العزيز) والصدر السعيد تاج الدين (أحمد بن عبدالعزيز) ـــ رحمهم الله تعالى ـــ وقت الضحوة الكبرى، بعد جميع الأسباق، وكانا يقولان: **طبيعتنا تَكِلّ وتَملّ ذلك الوقت**)) [الزُّرْنُوجي: ٩١].

إن ما ذكره الزُّرْنُوجي من وصايا للمتعلم تتعلق بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، من حيث معرفة ميولهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، والتدرج في تعلمهم، هو ما نادى به علماء التربية المحدثون، من أمثال ادوارد كلاباريد (١٨٧٣-١٩٤٠) السويسري، وفريير (١٨٧٩م-) السويسري أيضاً، والمربي الأمريكي وليم هارد كيلبا ترك (١٨٧١م-) [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٧٠].

٢/٦/١- التدرج في القرآن والسنة

٢/٦/١/١- التدرج في القرآن

إن الأصل في التدرج أن القرآن الكريم إنما نزل مفرّقاً على مدار ثلاث وعشرين سنة، وارتبطت بعض آياته أو سوره بأسباب نزولها، وقد بيّن الله تعالى السرّ في نزول القرآن الكريم منجّماً، وهو تيسيره للحفظ والتذكر. قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]. ((ومعنى قوله تعالى (لنثبت به فؤادك) أي: لتحفظه، فإنه كان عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ففرق عليه ليثبُت عنده حفظه)) [السيوطي، ٢٠٠٣، ١/١٩٢].

(١) برهان الأئمة عبد العزيز بن عمر بن مازه،يقال له: الصدر الكبير برهان الدين الكبير [اللكنوي، ١٣٢٤، ٩٨].

لقد سلك القرآن الكريم منذ نزوله منهج التدرج في تشريع الأحكام، فكانت تنزل الفريضة حتى إذا تمكنت في النفوس نزلت الفريضة الأخرى، وكذلك المحرمات، بل إن التدرج في أحيان كثيرة كان يقع في الحكم الواحد، مثل فريضة الجهاد، والمواريث، وتحريم الخمر. [عتر، ١٩٩٣، ٣٣]. ويمكن ذكر مثال على التدرج في الحكم الواحد، وهو تحريم الخمر، فقد نزل تحريم الخمر عبر مراحل متدرجة، ففي المرحلة الأولى نزل قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧]. ففي هذه المرحة كان الخمر مباحاً. وفي المرحلة الثانية نزل قوله تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩]. ففي هذه الآية بدأ التنفير المباشر من شرب الخمر عن طريق المقارنة بين شيئين: شيء فيه نفع ضئيل، وشيء فيه ضر وخطر جسيم، ولهذا تركه قوم. [الصابوني، د. ت، ٢٧٣/١]. وفي المرحلة الثالثة نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ .... ﴿٤٣﴾﴾ [النساء:٤٣]. ففي هذه الآية حرّم شرب الخمر جزئياً في أوقات الصلاة. وفي المرحلة الرابعة حرم الخمر كلياً ونهائياً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

٢/١/٦/٢- التدرج في السنة

حرص النبي ﷺ على التدرج في تربية أصحابه بأقواله وأفعاله، وكان يرشدهم إلى الأخذ بمنهج التدرج، فقد ورد في وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن قاضياً قائلاً له: **((يا معاذ إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))**
[مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله، ٥٠/١]

٢/٦/٢- مراعاة الفروق الفردية في القرآن والسنة

٢/٦/٢/١- مراعاة الفروق الفردية في القرآن

أشار القرآن الكريم إلى أن هناك فروقاً بين الناس في قدراتهم البدنية والنفسية والعقلية في آيات عدة، منها: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥] فقوله تعالى ((ورفع بعضكم فوق بعض درجات)) إنما يشمل كل أنواع الفروق الفردية بين الناس سواء أكانت وراثية أم مكتسبة، سواء كانت بدنية أم نفسية أم عقلية. [نجاتي، ٢٠٠١م، ٢٥١]. وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].

إن اختلاف الناس في استعداداتهم وقدراتهم يؤدي إلى اختلاف واجباتهم، لذلك لم يكلف الله عز وجل الإنسان إلا بالقدر الذي يستطيعه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ... ۗ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢/٦/٢/٢- مراعاة الفروق الفردية في السنة

هناك أدلة كثيرة من السنة على اعتبار الفروق الفردية مطلقاً، كقوله ﷺ: **((الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))** [مسلم، كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، ٢٠٣١/٤]. فكما أن معادن الأرض من ذهب وفضة وغيرهما من المعادن الأخرى تختلف في طبيعة تركيبها، وخصائصها، وقيمتها، فكذلك الناس يختلفون في طبائعهم، وأخلاقهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، ومن كان منهم محتفظاً بمستوى عالٍ وطيب من هذه الصفات في الجاهلية، فإنه سيظل كذلك محتفظاً بمستواه العالي والطيب في الإسلام إذا تفقه في الدين. [نجاتي، ٢٠٠٠م، ٢٥٦].

لقد كان النبي ﷺ يراعي أحوال أصحابه من حيث قدراهم، واستعداداهم، فكان يُسأل السؤال الواحد من أكثر من شخص، ويجيب عليه بإجابات مختلفة بحسب حال الشخص. فقد سأل أبو ذر النبي ﷺ فقال: ((**أي العمل أفضل يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: "الإيمان بالله، والجهاد في سبيله"**)) [مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، ١/٨٩]. وسأله عبد الله بن مسعود السؤال نفسه فقال له: ((**الصلاة على وقتها وبر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله**)) [البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها، ٦/٢٧٤٠].

ويزداد الأمر وضوحاً بمدى مراعاة النبي ﷺ للفروق الفردية حينما جاء إليه شاب، ((**فقال: يا رسول الله أُقَبلُ (يعني زوجته) وأنا صائم؟ فقال:لا. فجاء شيخ، فقال: يا رسول الله! أُقَبل وأنا صائم؟ فقالَ: نعم، فأخذ ينظر بعضهم إلى بعض، فقال لهم النبي ﷺ: قد علمت نظر بعضكم إلى بعض. إن الشيخ يملك نفسه**)). [أحمد بن حنبل في المسند، ٢/١٨٥. وقال عنه في مجمع الزوائد: ((وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن)). الهيثمي، كتاب الصيام، باب القُبْلة والمباشرة للصائم ٣/١٦٦].

فيلاحظ من هذا الحديث أن المشكلة واحدة لكلا السائلين، فأجاب النبي ﷺ عن سؤالهما بإجابة مختلفة على وفق حالهما.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: ((أمرنا أن نكلم الناس على قدْر عقولهم)) [قال عنه في كشف الخفاء، ١/٢٢٥: ((رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً، وفي اللآلئ بعد عزوه لمسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً، قال في إسناده ضعيف ومجهول)). الديلمي: ١/٣٩٨].وفي هذا الحديث إشارة إلى ضرورة مراعاة مخاطبة الناس على قدر فهمهم، وألا يلقى إليهم مالا تبلغه عقولهم.

٢/٧- الخاتمة

يبدو مما سبق أن الزُّرْنُوجي أشار إلى بعض مبادئ التعلم، فدعا إلى إلزاميته، وقسم حالاته إلى فرض عين، وفرض كفاية،ونص على حرمة تعلم بعض العلوم، ولاسيما الضار منها.ويستشف من مجمل أفكار الزُّرْنُوجي إشارته إلى بعض أنواع الدوافع؛كالدافع المعرفي، ودافع التنافس،ودافع الإنجاز،وإشارته أيضا إلى الاستعداد وعناصره،وبخاصة النية، والورع، والتوكل،والمواظبة، والعلاقة بينها. وإشارته أيضا إلى مضمون أنماط التغذية الراجعة، ووظائفها، والتدرج في التعليم والتعلم، ومراعاة الفروق الفردية. وتعرض الزُّرْنُوجي أيضا إلى أهمية الاستمرار في التعلم، والوسائل التي تعمل على تحقيقه؛كتنوع التعلم، وتكراره، والصبر عليه.ومعظم الأفكار التي تطرق إليها الزُّرْنُوجي في المجالات المذكورة أكدتها الدراسات التربوية الحديثة.

الفصل الرابع

طرائق التعلم عند الزُّرْنُوجي

١- مقدمة

للطرائق أهمية كبرى في التعلم، إذ إن نجاح التعلم يرتبط إلى حد كبير بنجاح الطريقة، ويمكن للطريقة السديدة أن تعالج كثيراً من مشكلات التعلم والتعليم، مثل: ضعف المتعلم، وصعوبة المقرر المدرسي [إبراهيم، ١٩٦٢، ٢٩]. لذلك قيل: ((إن الطريقة التي تقدم بها المعرفة هي المسؤولة عن جعل تلك المعرفة فعالة منتجة، أو خامدة، بل ميتة في أذهان من جعلوها)) [بوز، ٢٠٠٥/٢٠٤، ٧٢/١]. إن الطريقة التي يسلكها المتعلم في أثناء التعلم تكسبه بنية معرفية، وتعلمه التفكير، وتمكنه من زيادة فاعلية التعلم، وتحافظ على ما تعلمه، وكيفية توظيفه في مواقف جديدة، واسترجاع المعلومات عند الحاجة.

تحدث الزُّرْنُوجي عن طرائق عدة يتم التعلم عن طريقها. وأرشد المتعلم إلى أهمية ممارستها في أثناء تعلمه من أجل أن يحصل على تعلم أفضل، وبأقل جهد ممكن. وتمثلت هذه الطرائق في الفهم، والتكرار، والتأمل، والحفظ، والمذاكرة، والمطارحة، والمناظرة، والسؤال عند الزُّرْنُوجي الذي ذكرها على شكل نصائح للمتعلم، وآداب ينبغي أن يتحلى بها. ويستشف الباحث من خلال حديث الزُّرْنُوجي عن هذه الطرائق، وآداب المعلم والمتعلم خصائص هذه الطرق، وميزاتها، وأهم شرائطها، ومقارنتها أحياناً بالأفكار التربوية الحديثة.

٢- التعلم عن طريق الفهم

٢ /١- أثر الفهم في التعلم

إن التعلم الحقيقي يستند إلى فهم ما يتم تعلمه، ومن ثمّ يستطيع المتعلم توظيف ما تعلمه في مواقف جديدة ومتعددة، سواء أكان ذلك داخل المدرسة أم خارجها. ((ولهذا فإن المتعلم الذي يصمّ معلومات دون فهمها، وإدراك العلائق والصلات فيما بينها، كثيراً ما يرهق ذاكرته، ويعطل الوظائف الرئيسة فيها، كما أنه يحيل المعلومات الحية التي حصلها إلى معلومات خامدة، يصعب

استدعاؤها، وتوظيفها، ونقلها إلى مواقف جديدة، ناهيك عن صعوبة الاستفادة منها عند تعلم معلومات جديدة هي في الأصل على علاقة وطيدة بها، لذلك كان ((أوزبل)) قد ألح على ((التعلم ذي المعنى)) التعلم الذي يمكن عندئذ الاحتفاظ به إلى فترات طويلة، وأن يصبح مرتكزات فكرية تنمي العقل، وتزيد من قدراته)). [بوز، ٢٠٠٤/٢٠٠٥، ١/ ١١٤].

اهتم الزُّرْنُوجي بالفهم، وبيّن أثره في التعلم، وفضله على الحفظ، فقال: ((إذا قلَّ السَّبْق[١] وكثر التكرار والتأمل يُدْرك ويُفهم، فقد قيل: حفظ حرفين خير من سماع وِقْرين[٢]، وفهم حرفين خير من حفظ وِقْرين)) [الزُّرْنُوجي، ٦٨].

٢/٢- وسائل تحقيق الفهم

لقد استنبط الباحث وسائل تحقيق الفهم وتثبيت المعلومات، من كلام الزُّرْنُوجي عن الفهم، والحفظ، والتأمل، والتكرار، والعلاقة بينها، ويستشف ممّا ذكر الزُّرْنُوجي أن فهم المتعلم يمكن أن يتوقف على مجموعة من الأمور التي تساعد على الفهم، وتنميته.

١/٢/٢- الاجتهاد في الفهم: ينصح الزُّرْنُوجي المتعلم أن يجتهد في فهم ما يتلقاه من أستاذه، ولا يقصّر أو يتهاون في ذلك؛ لأن التهاون أو تكرار التقصير في فهم الكلام يورث المتعلم الاعتياد على عدم الفهم، وحينئذٍ يصير عادة له، فيحرم من فهم الكلام اليسير. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ (...) وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك، فلا يفهم الكلام اليسير، فينبغي ألا يتهاون في الفهم، بل يجتهد،ويدعو الله تعالى، ويتضرع إليه، فإنه يجيب من دعاه،ولا يخيب من رجاه)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

ولم يشر الزُّرْنُوجي إلى مشكلة عدم فهم المتعلم، أو تهاونه في الفهم نفسه، بل اقترح حلاً عملياً لهذه المشكلة، يتعلق بالمتعلم نفسه، إذ أرشده إلى أن يستجمع ملكاته العقلية، ويوجهها نحو

---

(١) السَّبْق: سيرد ذكره كثيراً في هذا الفصل، ولم يبين الزُّرْنُوجي معناه. وذكر بعض الباحثين أن المراد به((تحضير الدرس ومدارسته قبل الحضور بين يدي المدرس، أو المراد التلقي مطلقاً)) [العطا، ١٩٩٨، ٣٥] ويرى الباحث أن المقصود بالسبق الجزء الذي يدرسه المتعلم من المادة الدراسية.

(٢) الوقر: الحمل الثقيل.

فهم ما يتلقاه من أستاذه. وبيّن أن سبب هذه المشكلة يعود إلى المتعلم ذاته، فإنه إذا لم يكن من عادته الفهم، أو كان متهاوناً فيه، فإنه إذا ما جاهد نفسه مرات عدة، محاولاً الفهم في كل مرة، فحينئذٍ يجد ثمرة المجاهدة، فيستطيع أن يفهم شيئاً فشيئاً، حتى إذا ما واظب على ذلك، فإن الفهم يصير عادة له.

ويرى الباحث أن هناك قاسماً مشتركاً بين ما ذكره الزُّرْنُوجي عن مشكلة عدم الفهم، أو التهاون فيه، وما طرحه (جون ديوي ١٨٥٩م-١٩٥٢م) مما عرّف عنه و((طريقة المشكلات) التي تقوم على خمس مراحل هي: [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٣٧].

١ – الشعور بالصعوبة أو المشكلة. (الشعور بالمشكلة)

٢ – معرفة موضع الصعوبة أو المشكلة وتحديدها. (تحديد المشكلة)

٣ – الإيحاء أو الإشارة إلى الحل الممكن. (فرض الفروض – الحلول)

٤ – التفكير في هذا الحل، وفي طريقة الاستدلال على صحته. (اختبار الفروض)

٥ – الملاحظة والتجربة للوصول إلى قبول الحل أو رفضه. (تطبيق الحلول)

ويلاحظ أن هذه الطريقة تهدف أساساً إلى تعويد الطلاب الاعتماد على أنفسهم في تحديد المشكلات التي تعترضهم، ودراستها، والتفكير في حلها، والتأكيد على أهمية النشاط الذاتي في التعلم. وقد أكد الزُّرْنُوجي هذه المعاني حينما أشار إلى أهمية إحساس المتعلم بمشكلة عدم الفهم لديه، والإيحاء إلى المتعلم بإمكانية حل هذه المشكلة عن طريق المتعلم ذاته، وذلك من خلال قيامه بالعمل المتكرر، والمعاناة فيه، وبمشاركة أستاذه في توجيهه.

٢/٢/٢– التدرج في الفهم: يوصي الزُّرْنُوجي المتعلم أن يبتدئ بتعلم ما يقدر على فهمه، ولا يبدأ بتعلم شيء يصعب عليه فهمه. ويرشد المتعلم إلى قراءة الكتب المبسطة التي تراعي مراحل نموه. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي أن يبتدئ بشيء يكون أقرب إلى فهمه)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].واستدل الزُّرْنُوجي في هذه الوصية بفعل المشايخ، وتجاربهم، حيث كانوا يختارون للمتعلم

المبتدئ الكتب البسيطة الخفيفة ليتمرس الطالب على فهمها، وحفظها، قال الزُّرْنُوجي: ((وكان الشيخ الإمام الأستاذ شرف الدين العقيلي ـــ رحمه الله تعالى ـــ يقول: الصواب عندي في هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله، فإنهم كانوا يختارون للمبتدئ صغارات ((المبسوط)) (الكتب المبسطة) لأنه أقرب إلى الفهم والضبط، وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعاً بين الناس)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨]. وفي كلام الزُّرْنُوجي إشارة واضحة إلى أهمية ربط المنهاج والمواد الدراسية بقدرة المتعلم على حفظها وفهمها. إن فكرة بدء المتعلم بالأسهل عليه، قد دعا إليها المربي يوحنا هنري بستا لوتزي (١٧٤٦م-١٨٢٧م) السويسري الذي يرى أن على المتعلم أن يبدأ بالأسهل، ثم ينتقل منه إلى ما هو أقل سهولة على أن يكون الانتقال تدريجياً ومتمشياً مع مراحل نمو الطفل. [الشيباني، ١٩٧٥، ٢٨٣].

٣/٢/٢- كتابة الدرس وتحضيره: إن تحضير المتعلم الدرس مسبقاً يساعد في فهمه لاحقاً، وقد أشار الزُّرْنُوجي إلى ذلك حينما ربط السَّبْق، وتكراره، والتأمل فيه، بفهمه، فقال: ((إذا قلَّ السَّبْق، وكثر التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

وأوصى الزُّرْنُوجي المتعلم إذا ما أراد أن يحفظ درسه، ويفهمه أن يُعلقه، أي: يكتبه ولكنه حذّر المتعلم من أن يكتب شيئاً لا يفهمه، فقال: ((وينبغي أن يُعلَّقَ السَّبْقُ بعد الضبط والإعادة كثيراً، فإنه نافع جداً، ولا يكتب المتعلم شيئاً لا يفهمه)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

إن كتابة الدرس والرجوع إليه فيما بعد، وتكراره قد يثير في المتعلم بعض الأمور التي تحتاج منه إلى فهم من جهة، وتفيده في ربط ما تعلمه سابقاً بما يتعلمه لاحقاً من جهة أخرى. وقد أشار إلى ذلك الزُّرْنُوجي حينما استشهد ببعض أبيات من الشعر: [الزُّرْنُوجي: ٦٩].

وإذا ما حفظت شيئاً أعـــده ... ثم أكّـــده غايـــة التأكيـــد
ثم علّقْه كـــي تعـــود إليـــه ... وإلى درسه علـــى التأبيـــد
وإذا ما أمنـــت منه فـــواتاً ... فانتدب بعده لشيء جديد

إن اهتمام الزُّرْنُوجي بعنصر الفهم في القراءة والكتابة، ومطالبته المتعلم بعدم كتابة شيء لا يفهمه هو ما تدعو إليه التربية الحديثة. فقد نادت المربية ماريا منتسوري (١٨٧٠م- ١٩٥٢م) الإيطالية بضرورة الاهتمام بعنصر الفهم في القراءة والكتابة. فالكتابة عندها ليست عرض الرموز والحروف والأسطر أمام الطفل، والقراءة لديها تعبر عن تفهم الفكرة من الرموز المكتوبة. [عبد العزيز، ١٩٧٨، ٢/٦٧].

ونادى المربي (الآن- اميل شارتيه الفرنسي (١٨٦٨م- ١٩٥١م) بضرورة الاهتمام بالقراءة، فهي في نظره الوسيلة التي تساعد على تفهم نتائج الفكر الإنساني [الأنسي، باقارش: ١٩٩٩، ٢٤٣].

٢/٢/٤- شكر الله: ذكر الزُّرْنُوجي من الوسائل المعنوية المعينة على فهم المتعلم شكر الله عز وجل، قال الزُّرْنُوجي: ((ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بالشكر باللسان، والجَنَان (القلب)، والأركان (الجوارح)، والمال، ويرى الفهم والعلم والتوفيق من الله تعالى)) [الزُّرْنُوجي: ٧٧].

٢/٢/٥- التأمل والتكرار: ذكر الزُّرْنُوجي أن التأمل في المعلومات، وتكرارها يساعد في إدراكها، وفهمها. قال الزُّرْنُوجي: ((إذا قلَّ السَّبْق وكثر التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

٣- التعلم عن طريق التأمل

إن التأمل في الأشياء يزيد من فرص المعالجة الفعّالة للمشكلات التي يمكن أن تواجه المتعلم. [القَلا، ناصر، ١٩٩٠، ٦٤].

ذكر الزُّرْنُوجي في مواضع عدة من كتابه أهمية التأمل في الحياة عموماً، وفي التعلم خصوصاً، ويستشف الباحث مما ذكره الزُّرْنُوجي عن التأمل والفهم والتكرار، والعلاقة بينها، خصائص التأمل و ثمراته عند الزُّرْنُوجي، ويمكن بيانها فيما يأتي.

٣/١- خصائص التأمل عند الزُّرْنُوجي

إن التأمل الذي يكون أساساً في الفهم، وسبباً في التعلم يمتاز بالخصائص الآتية:

٣/١/١- التأمل يميّز الإنسان من سائر المخلوقات: ينظر الزُّرْنُوجي إلى التأمل على أنه فضيلة من الله عز وجل، ونعمة أنعم بها على عباده، تستحق الشكر لله، وأنه إحدى العمليات الذهنية التي يتوصل بها إلى العلم الذي يختص به الإنسان، ويميّزه من سائر المخلوقات، قال الزُّرْنُوجي: ((وشرف العلم لا يخفى على أحد، إذ هو المختص بالإنسانية؛ لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات)) [الزُّرْنُوجي: ٢١]. وطلب الزُّرْنُوجي من المتعلم أن ينوي بطلب العلم شكر الخالق على نعمة العقل، فقال: ((وينوي به (العلم) الشكر على نعمة العقل، وصحة البدن)) [الزُّرْنُوجي: ٢٨].

٣/١/٢- التأمل مستمر وشامل ومعتاد: ينصح الزُّرْنُوجي المتعلم الذي يريد أن يحصل دقائق المسائل، ويكشف أسرارها، ويدرك حقائقها، ويستنبط صوابها أن يكون تأمله فيها طويلاً ومستمراً وشاملاً أوقات التعلم كافة، ويعتاد المتعلم عليه. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يكون متأملاً في جميع الأوقات في دقائق العلوم، ويعتاد ذلك، فإنما تُدرك الدقائق بالتأمل، ولهذا قيل: تأمّل تدرك)) [الزُّرْنُوجي: ٧٢].

((ولا شك أن اعتياد التأمل يعتبر جانباً هاماً من جوانب التعلم (.....)، فاعتياد التأمل هو التأمل، ذلك لأن المتعلم يتعلمه إذ يمارسه، يتمكن منه إذ يعلمه، ثم إنه بعد التمكن منه مساعد للتعلم على الانتقال إلى مستويات، ومجالات من التعلم أبعد وأعمق)) [عثمان، ١٩٨٩، ١٢٤].

ولم يهتم الزُّرْنُوجي بالتأمل في دقائق العلوم، وأنواعها فحسب، بل جعل ذلك شاملاً لكل ما له صلة بحياة المتعلم، حيث طلب من المتعلم أن يتأمل في اختيار معلمه. قال الزُّرْنُوجي ناقلاً عن بعض المشايخ: ((إذا ذهبت إلى بخارى لا تعجل في الاختلاف على الأئمة. وامكث شهرين حتى تتأمل تختار أستاذاً، فإنك إذا ذهبت إلى عالم وبدأت بالسبق عنده ربما لا يعجبك دَرْسه فتتركه، وتذهب إلى آخر، فلا يبارك لك في التعلم. فتأمل شهرين في اختيار الأستاذ، وشاور حتى لا تحتاج

إلى تركه والإعراض عنه، فتثبت عنده حتى يكون تعلمك مباركاً، وتنتفع بعلمك كثيراً)) [الزُّرْنوجي: ٣٥]. وقال أيضاً: ((كما اختار أبو حنيفة حمّاد بن أبي سليمان رحمه الله بعد **التأمل والتفكر**، وقال: وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً، وقال: ثبتُّ عند حماد بن أبي سليمان فنبتُّ)) [الزُّرْنوجي: ٣٣].

٢/٣- ثمرات التأمل عند الزُّرْنوجي

يستنبط من كلام الزُّرْنوجي أن للتأمل ثمرات في التعلم، من أهمها:

١/٢/٣- التأمل يورث النشاط في المتعلم ويبعده من الكسل: بيّن الزُّرْنوجي أثر التأمل في دفع المتعلم إلى الجِدِّ والعمل، وذكر أن كثرة التأمل في الأشياء، ولا سيما العلم وفضائله تدفع المتعلم إلى الاجتهاد، بينما قلة التأمل تورث كسل المتعلم، وعدم اهتمامه بالعلم. قال الزُّرْنوجي: ((فينبغي للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجدِّ والمواظبة؛ بالتأمل في فضائل العلم، فإن العلم يبقى ببقاء المعلومات، والمال يفنى (....) وقد قيل: الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله)) [الزُّرْنوجي: ٥٨].

٢/٢/٣- التأمل يقوِّم كلام المتعلم ويستخرج صوابه: يشير الزُّرْنوجي إلى أهمية التأمل في تقويم الكلام، واستخراج الصواب، فينصح المتعلم بالتأمل والتثبت في كلامه، وعدم التسرع فيه. وشبه الكلام بالسهم الذي يحتاج إلى التأني والدقة والتأمل فيه، وفي مرماه قبل رميه، كي يحقق هدفه: قال الزُّرْنوجي: ((**ولا بد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صواباً**، فإن الكلام كالسهم، فلا بد من تقويمه بالتأمل قبل الرمي حتى يكون مصيباً (.....) وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل. وقيل: رأس العقل أن يكون الكلام بالتثبت والتأمل)) [الزُّرْنوجي: ٧٢]. وقال أيضاً ((والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب، وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف ولا يحصل بالغضب والشَّغب)) [الزُّرْنوجي: ٧٠].

٣/٢/٣- التأمل يورث الفهم: ربط الزُّرْنُوجي بين التأمل والفهم، وجعل التأمل سبباً في إدراك الأمور وفهمها. قال الزُّرْنُوجي: ((إذا قلَّ السَّبْق وكثر التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

٤/٢/٣- التأمل في منافع الأشياء ومضارها يؤثر في التعلم: اهتم الزُّرْنُوجي في قضية التأمل في الأشياء النافعة والضارة، وبيّن أثرها في جوانب التعلم، فذكر أن التأمل في منافع قلة الأكل، ومضار كثرته تؤثر في حفظ المتعلم، وتذكره، ونشاطه. قال الزُّرْنُوجي: ((وقد يتولد الكسل من كثرة البلغم والرطوبات. وطريق تقليله تقليل الطعام (...) وطريق تقليل الأكل **التأمل في منافع قلة الأكل**، وهي: الصحة، والعفة، والإيثار (....) **والتأمل في مضار كثرة الأكل** وهي: الأمراض، وكلالة الطبع. قيل: البِطْنة تُذْهب الفِطْنة)) [الزُّرْنُوجي: ٦٢-٦٣].

٣/٣- التأمل والفهم في القرآن والسنة

١/٣/٣- التأمل والفهم في القرآن

كانت الشرائع السماوية السابقة للإسلام تعتمد في إقناع الناس على المعجزات الحسية التي تؤثر في تصديق الناس، والإيمان برسالات الأنبياء. قال الله تعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾. [الأعراف: ١١٧-١٢٢]

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

وجاء القرآن الكريم بمنهج العقل الذي يدعو الناس إلى التأمل في ملكوت الله، وفهم سننه في الكون، والتدبر بآيات الله، وآلائه من أجل الوصول إلى الحقائق ونبذ التقليد الأعمى. فقد مدح الله عز وجل عباده المؤمنين الذين يتأملون في مخلوقاته، ويتفكرون فيها. قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾. [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ودعا الله عز وجل الناس إلى النظر في مخلوقاته المحسوسة ليصلوا إلى حقيقة خالق هذا الكون. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾. [الغاشية: ١٧-٢٢].

ولقد عدّ الله عز وجل الناس الذين يعطلون حواسهم عن التأمل في آياته، ودلائل قدرته، للوصول إلى الحق أقل مرتبة من الحيوانات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾. [الأعراف: ١٧٩].

((ولم يكن قصد القرآن الكريم تربية الناس على مجرد الحفظ والترديد، ولا مجرد تدريب عقولهم على الحفظ والفهم، بل أراد الله لنا بهذا القرآن أن تتحول هذه المعرفة التي قدمها لنا إلى حركة فكرية عاطفية، ثم قوة دافعة، لتحقق مدلولها في عالم الواقع، فنطور سلوكنا (....) ونطبق شريعته، بالعمل الإسلامي المثمر في إعمار الكون، وتحقيق عدل الله، وأوامره الحضارية عن قناعة، واندفاع تلقائي في الحياة الإنسانية)) [النحلاوي،١٩٨٩، ٢٥].

٢/٣/٣- التأمل والفهم في السنة

لقد دعا النبي ﷺ إلى التأمل والتفكر في أحاديث عدة، منها: **((أنه كان ذات يوم عند عائشة رضي الله عنها في ليلتها، فاستأذنها ليتعبد الله، فقالت له إني لأحب قربك، وأحب**

هواك. فقام النبي ﷺ فتوضأ، ثم قرأ القرآن، ثم بكى بكاء شديداً، فدخل إليه بلال الحبشي ليؤذنه بصلاة الفجر، فقال له: الصلاة يا رسول الله، فلما رآه بلال يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ : يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ومالي لا أبكي وقد نزل عليّ الليلة قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١]. ثم قال يا بلال: ويل لمن قرأ هذه الآيات ولم يتفكر فيها)). [ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في فضل الطاعات وثوابها، ٢/٣٨٦]. وقد ورد عن الحسن البصري قوله ((ساعة تفكر خير من قيام ليلة)) [ابن كثير، ١٩٩٤، ١/٣٨٦].

وذكر الصحابي أبو سعيد الخدري مدى اهتمام النبي ﷺ بتفهيم المتعلم، إذ كان يقول للحدَث: **((إذا أنت لم تفهم الشيء استفهمنيه، فإنك أن تقوم وقد فهمت أحب إلي من أن تقوم ولم تفهمه))** [الكاندهلوي، ١٩٩٩، ٣/١٥٥].

وورد في آثار عمر بن الخطاب ﷺ وصيته لأبي موسى الأشعري فيما يتعلق بالقضاء، إذ قال: ((أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك بحجة (....) الفهم الفهم فيم تلجلج[1] في صدرك ليس في كتاب ولا سنة ثم قس الأمور بعضها ببعض)) [القرطبي، ١٩٨٥، ٧/١٠٣، وانظر: الدارقطني، ١٩٦٦، كتاب الأقضية، ٤/٢٠٦].

وكان من منهج النبي ﷺ التدرج في تفهيم الصحابة وتحفيظهم القرآن، حيث كان يعلم الصحابة عشر آيات من القرآن، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يفقهوهن، ويعملوا ما فيهن من أحكام، فيربطوا بين العلم والعمل. وكان أيضاً يعلمهم القرآن أحياناً خمس آيات خمس آيات. [ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، ٦/١١٧].

(١) تلجلج: أي تردد في صدرك وقلق و لم يستقر. [الجزري، ١٣٩٩هـ، ٤/٢٣٤].

٤- التعلم عن طريق التكرار

يكون التكرار في إعادة ما سبق دراسته، ويزود المتعلم بفرصة لحفظ المعلومات، وتثبيتها، وزيادة ربط بعضها ببعض. [عبد العزيز، ١٩٧٦، ٢/ ٢٨٠. وانظر: هوفر، د.ت، ١٧٧]. تحدث الزُّرْنُوجي عن تكرار المتعلم الدرس، وعلاقته بحفظ المعلومات،واسترجاعها، وأفضل أوقاته، وضرورة مراعاته الفروق الفردية بين المتعلمين.

٤/١- شروط التكرار

استنبط الباحث أهم الشروط المتعلقة بالتكرار، من خلال حديث الزُّرْنُوجي عن التكرار، وعلاقته بالحفظ، وأفضل أوقاته، ومدى قدرة المتعلم عليه. ولكي يؤتي التكرار ثمراته التربوية لا بد من مراعاة هذه الشروط.

٤/١/١- التكرار في أثناء نشاط المتعلم

ينصح الزُّرْنُوجي المتعلم ألا يقوم بالدرس وتكراره إلا حينما يتمتع بقوة، ونشاط، ويتحين الأوقات المناسبة التي يكون فيها المتعلم نشيطاً، وقادراً على التكرار؛ لأنه عمل مجهد، يحتاج إلى نشاط ليحسن القيام به. قال الزُّرْنُوجي: ((لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط)) [الزُّرْنُوجي: ٨٢].

٤/١/٢- ربط كمية التكرار بقدرة المتعلم

راعى الزُّرْنُوجي قدرة المتعلم على التكرار، فطلب منه أن يقدر لنفسه حداً معيناً للتكرار، يستطيع أن يقوم به، ومن ثمَّ يصل إلى الهدف منه، الذي تمثل في الاطمئنان النفسي. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يَعُدَّ ويقدّر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ)). [الزُّرْنُوجي: ٨١-٨٢]. وينبغي على المتعلم ألا يكلف نفسه من التكرار ما لا يستطيع فعله . قال الزُّرْنُوجي: ((ولا يجهد نفسه جهداً، ولا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل، بل يستعمل الرفق في ذلك)) [الزُّرْنُوجي: ٥٤].وربط الزُّرْنُوجي أيضاً كمية الدرس بقدرة المتعلم على حفظه وإعادته، مراعياً بذلك الفروق بين المتعلمين بقوله: ((ينبغي أن يكون قدْر السبق

للمبتدئ وقدْر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق. ويزيد كل يوم كلمة حتى إنه وإن طال السبق وكثر، يمكن ضبطه بالإعادة مرتين. ويزيد بالرفق والتدريج، فأما إذا طال السبق في الابتداء واحتاج إلى الإعادة عشر مرات، فهو في الانتهاء أيضاً يكون كذلك؛ لأنه يعتاد ذلك، ولا يترك تلك العادة إلا بجهد كثير، وقد قيل: السبق حرف، والتكرار ألف)) [الزُّرْنُوجي: ٦٧].

٣/١/٤- فهم الدرس قبل تكراره

حذّر الزُّرْنُوجي المتعلم من أن يكتب الدرس أو يكرره قبل فهمه، وعدَّ ذلك مضيعة للوقت؛ لأن التكرار من غير فهم لا ينفع، ولا يحفظ، وإذا ما حفظ، فإنه لا يدوم. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي أن يُعلّق السَّبْق بعد الضبط والإعادة كثيراً، فإنه نافع جداً، ولا يكتب شيئاً لا يفهمه، فإنه يورث كلالة الطبع، ويذهب الفطنة، ويضيع الوقت)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

٤/١/٤- استمرار التكرار

ينصح الزُّرْنُوجي المتعلم بأن يستمر في تكرار دروسه؛ لأن في الاستمرار المحافظة على العلم، وتنميته. قال الزُّرْنُوجي: ((وليكرر وليذاكر، ولا يكسل، وليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك التعلم والتفقه)) [الزُّرْنُوجي: ٧٦]. وقال أيضاً: ((السَّبْق حرف والتكرار ألف)) [الزُّرْنُوجي: ٦٧].

٥/١/٤- تحديد فترة زمنية مناسبة للتكرار

إن التكرار الذي يساعد على الفهم يشترط فيه أن يكون على فترات متقاربة، بدلاً من التكرار المتصل. وإن تكرار مادة الحفظ، ومراجعتها في فترات متفاوته يساعد على تثبيت المعلومات، وعدم نسيانها. [همام، ١٩٨٤، ١١].

وضع الزُّرْنُوجي للمتعلم خطة من أجل حفظ المعلومات ،واسترجاعها عند الحاجة، تمثلت في تكرار الدرس ضمن فترات محددة، فطلب من المتعلم أن يكثر من تكرار الدرس الذي تعلمه المتعلم اليوم أكثر من الدرس الذي أخذه بالأمس؛ لأن السَّبْق الأحدث يحتاج إلى تثبيته وتقويته أكثر من الأقدم. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يكرر سَبْق الأمس خمس مرات، وسبْق اليوم

الذي قبل الأمس أربع مرات، والسّبْق الذي قبله ثلاث مرات، والذي قبله اثنين والذي قبله مرة واحدة، فهذا أدعى إلى الحفظ)) [الزُّرْنُوجي: ٨٢].

وتحدث الزُّرْنُوجي عن أفضل أوقات التكرار، وجعلها ما بين العشاءين، أي المغرب والعشاء، ووقت السحر، أي آخر الليل، قبيل الفجر فإن في هذه الأوقات بركة، وسكينة. قال الزُّرْنُوجي: ((ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار في أول الليل، وآخره، فإن ما بين العشاءين، ووقت السحر وقت مبارك)) [الزُّرْنُوجي: ٥٣].

٦/١/٤- اعتدال الصوت في أثناء التكرار

يطلب الزُّرْنُوجي من المتعلم عند تكراره الدرس ألا يخافت بصوته، بحيث لا يسمع نفسه، ولا يجهر به جهراً يجهد نفسه،لكي لا يتعب، ومن ثَمَّ ينقطع عن التكرار. وأن يكون التكرار بصوت معتدل بين الجهر والمخافتة. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي ألا يعتاد المخافتة في التكرار؛ لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط، ولا يجهر جهراً شديداً، يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار فـ ((خير الأمور أوسطها))[1] [الزُّرْنُوجي، ٨٢].

ويبدو أن الأصل في كلام الزُّرْنُوجي عن عدم المخافتة التي هي خفض الصوت، وعدم الجهر الشديد، هو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠].

٢/٤- وظائف التكرار

أشار الزُّرْنُوجي إلى أهم وظائف التكرار التي تمثلت في فهم المعلومات، وحفظها وتثبيتها.

(١) (خير الأمور أوسطها) حديث للنبي ﷺ، مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه المكي في العجالة في الأحاديث المسلسلة، ٧٣/١. وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء ٤٦٩/١: ((قال ابن الغرس ضعيف، وقال في المقاصد؛ رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً، وللديلمي بلا سند)).

٤/٢/١- التكرار يورث الفهم

ذكر الزُّرْنوجي أن كثرة التكرار والتأمل فيما يكرر يؤدي إلى إدراك الأشياء وفهمها؛ لأن التكرار قد يثير تفكير المتعلم إلى أشياء لم تكن في حسبانه قبل التكرار، فيكون ذلك دافعاً له على تأملها، والإفادة منها. قال الزُّرْنوجي: ((إذا قلّ السَّبْق وكثر التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم)) [الزُّرْنوجي: ٦٨].

٤/٢/٢- التكرار يورث الحفظ ويثبته

التكرار يساعد في حفظ المعلومات، وتثبيتها. قال الزُّرْنوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات (.....) فهذا أدعى إلى الحفظ)) [الزُّرْنوجي: ٨٢].

وأرشد الزُّرْنوجي المتعلم إذا ما حفظ شيئاً أن يعيده مرات من أجل تثبيته، وقد نقل في ذلك شعراً لبعض المشايخ. [الزُّرْنوجي: ٦٩].

وإذا ما حفظت شيئاً أعده ... ثم أكده غاية التأكيد
ثم علّقه كي تعود إليه ... وإلى درسه على التأبيد
وإذا ما أمنت منه فواتاً ... فانتدب بعده لشيء جديد
مع تكرار ما تقدم منه ... اعتناء بشأن هذا المزيد

وأشار الباحثون التربويون إلى أهمية التكرار وتنظيمه، واستمراره، قال منصور: ((يلعب التكرار دوراً هاماً في عملية التذكر (...) وأمر لا بد منه لاستكمال مهمة الاستيعاب الشامل والمتعدد المستويات للمواد الدراسية (...) فتنظيم التكرار لا يقل أهمية عن التكرار نفسه (...) فإن المعلومات المتكررة يتم تذكرها جيداً، ويعاد فهمها من جديد، وبالتالي يؤدي التكرار على التثبت والتجديد، وإعادة البناء))[منصور:١٩٩٣، ٦٨-٦٩].

وقال كلاين: ((إن هذه العملية التي تدعى التكرار، تحفظ المعلومات في الذاكرة العاملة، وللتكرار وظيفتان رئيسيتان في (...) أولاً: أنها تحفظ المعلومات في الذاكرة العاملة لا تنسى. ثانياً:

توفر الفرصة لجعل المعلومات أكثر معنى (...) وبعبارة أخرى كلما ازداد تكرار ذكرى، تزداد الفرص في أن الذكرى ستستعاد في وقت لاحق))[كلاين، ٢٠٠٣، ٢/ ٦٧٤-٦٧٥].

إن الأفكار التي طرحها الزُّرْنوجي حول التكرار وشروطه ووظائفه نادى بها بعض التربويين المحدثين، ولا سيما (الآن – اميل شارتيه /١٨٦٨-١٩٥١م) الذي يؤمن بضرورة جعل المدرسة مكاناً للعمل الجدي، والصبر عليه، وتكراره. ويرى أن اكتساب المعرفة إنما يتم عن طريق الخبرة الشخصية المتكررة، وأن مراجعة المعلومات، وتكرارها من الأمور المهمة في عملية التربية والتعليم. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٤٣]. والمربي ادوارد كلاباريد (١٨٧٣م- ١٩٤٠م) السويسري الذي دعا إلى الاهتمام بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، من حيث معرفة ميولهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، وما يترتب على ذلك من جوانب تربوية. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٦٥].

٣/٤- التكرار في القرآن والسنة

٣/٤/ ١- التكرار في القرآن

لقد ورد أسلوب التكرار في القرآن لأغراض تربوية عدة، حيث ينمي الاستعداد الوجداني الذي يجعل صاحبه مستعداً لتحقيق أهداف معينة؛ مثل: الدفاع عن العقيدة، والدعوة إلى دين الله، وتحقيق أوامره، واجتناب نواهيه. وقد يأتي التكرار بصيغ عدة؛ كالسؤال، أو الاستفهام. فإذا ما تردد في القرآن الكريم سؤال معين، مثير لعواطف عدة، متشابهة، وتكرر عدداً من المرات، فإنه يأخذ كل مرة معنى يتناسب مع ما سبقه من الآيات بالإضافة إلى معناه الأصلي. مثل تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن تكرر أكثر من ثلاثين مرة. ويمكن ذكر بعض هذه الآيات. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ [الرحمن: ١٤-٢٨].

وجواب النبي ﷺ لذلك الرجل الذي جاء يسأله عن الأحق بحسن الصحبة والبر، فقال له النبي ﷺ: ((**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك**)) [مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به، ٤/١٩٧٤].

وكان أيضاً من منهج النبي ﷺ أنه ((**إذا تكلم كرر الكلام وأعاده ثلاثاً ليفهم عنه**)). [الطبراني في الكبير، ٨/٢٨٥. وقال عنه في مجمع الزوائد: ((رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن)) ١/١٢٩].

٥- التعلم عن طريق الحفظ

على الرغم من أن الحفظ والنسيان متضمن في سائر عناصر التعلم إلا أن الزُّرْنُوجي أفردهما في فصل مستقل من كتابه، وهذا يكشف عن ثلاثة أمور،هي:

أولاً- أنه ميّز الحفظ والنسيان على أنهما نشاط عقلي معرفي جدير بالدراسة الخاصة.

ثانياً- إن تناوله الحفظ والنسيان بشكل مستقل، يدل على أنهما ظاهرتان تستحقان الدراسة والتحليل والفهم.

ثالثاً- رغبته في أن يعطي المتعلم فوائد مباشرة، فيما يساعده على الحفظ، ويقلل عنده النسيان. [عثمان، ١٩٨٨، ١٩٣-١٩٤].

لقد تحدث الزُّرْنُوجي عن الحفظ بوصفه عملية ملازمة للتعلم، وبيّن أن ما يتعلمه المتعلم يجب أن يحفظه، وبمقدار حفظه وفهمه ينمو تعلمه. وأوصى المتعلم بأن يتدرج في الحفظ، فيحفظ كل يوم شيئاً يسيراً، يقدر عليه. قال الزُّرْنُوجي: ((ووصى الصدر الشهيد حسام الدين ابنه شمس الدين أن يحفظ كل يوم شيئاً يسيراً من العلم والحكمة، فإنه عن قريب يكون كثيراً)) [الزُّرْنُوجي: ٩٥].

وأرشد الزُّرْنُوجي المتعلم إلى ألا يبدأ بحفظ شيء جديد حتى يمكن الحفظ السابق، إذ إن تثبيت الحفظ السابق يسهل عملية الحفظ اللاحق. وذكر في ذلك شعراً عن بعض المشايخ فقال: [الزُّرْنُوجي: ٦٩].

اخدم العلم خدمة المستفيد ... وأدم درسه بعقـــل حميـــد
وإذا ما حفظت شيئاً أعده ... ثم أكده غايـــة التأكيـــد
ثم علّقه كي تعـــود إليـــه ... وإلى درسه علـــى التأبيـــد
وإذا ما أمنت منـــه فواتـــاً ... فانتدب بعده لشيء جديد
مع تكرار ما تقـــدّم منـــه ... اعتناء بشأن هـــذا المزيـــد
ذاكر الناس بالعلوم لتحيـــا ... لا تكن من أولي النّهى ببعيد

٥/١- العوامل التي تزيد في الحفظ

يتحدث الزُّرْنُوجي عن جملة من العوامل التي تزيد من حفظ المتعلم، وتبعده من النسيان، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى عوامل معرفية، وانفعالية، وجسمية، وأنشطة. [العمايرة، ٢٠٠٠م، ٢٩٦].

٥/١/١-العوامل العقلية: حث الزُّرْنُوجي على قراءة القرآن، وحفظه، والنظر فيه، قال الزُّرْنُوجي: ((ليس شيء أزيد للحفظ من قراءة القرآن نظراً)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٢]. وطلب الزُّرْنُوجي من المتعلم حفظ ولو كتاب واحد من كتب الفقه ليعينه على الحفظ قال الزُّرْنُوجي: ((ينبغي للمتفقه أن يحفظ كتاباً واحداً من كتب الفقه دائماً ليتيسّر له بعد ذلك حفظ ما يسمع من الفقه)) [الزُّرْنُوجي: ٨٣].

٥/١/٢-العوامل الانفعالية: التي تمد المتعلم بالاطمئنان النفسي والغذاء الروحي، مثل الصلاة. فذكر الزُّرْنُوجي أن من أقوى أسباب الحفظ صلاة الليل. فقال: ((وأقوى أسباب الحفظ (....) صلاة الليل، وقراءة القرآن)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٢].

٥/١/٣-العوامل الجسمية: ذكر الزُّرْنُوجي بعض أنواع الأغذية التي تزيد من الحفظ في نظره؛ كالعسل، والزبيب. قال الزُّرْنُوجي: ((والسواك وشرب العسل، وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء

كل يوم على الريق يورث الحفظ (....) وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد في الحفظ)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٣-١٠٤].

٤/١/٥- عوامل الأنشطة: ذكر منها الزُّرْنُوجي الجدّ والمواظبة فقال: ((وأقوى أسباب الحفظ: الجدّ والمواظبة، وتقليل الغذاء)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٢]، وتدوين الدرس، وتكراره،ومذاكرته. وقد مرّ ذكر أقوال الزُّرْنُوجي فيها.

٢/٥- العوامل التي تورث النسيان

يتبع الزُّرْنُوجي الأسلوب نفسه في بيان العوامل التي تؤثر في الحفظ، وتورث النسيان، ويمكن تقسيمها أيضاً إلى عوامل معرفية وانفعالية وأنشطة، وجسمية.

١/٢/٥-العوامل العقلية: يذكر أن الاشتغال بأمور الدنيا، وإهمال الفهم عند الحفظ، وضعف الحفظ بداية، أي عند عدم تمكين الحفظ يورث النسيان. قال الزُّرْنُوجي: ((ولا يكتب المتعلم شيئاً لا يفهمه، فإنه يورث كلالة الطبع، ويذهب الفطنة)) [الزُّرْنُوجي: ٦٨].

٢/٢/٥-العوامل الانفعالية: التي تورث النسيان؛ كالمعاصي وكثرة الذنوب، والهموم، والأحزان. قال الزُّرْنُوجي: ((وأما ما يورث النسيان فالمعاصي وكثرة الذنوب، والهموم، والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلائق)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٤]. وقال أيضاً: ((لأن الهم، والحزن لا يرد المصيبة، ولا ينفع، بل يضر القلب، والعقل، والبدن، ويخل بأعمال الخير)) [الزُّرْنُوجي: ٨٥]. وجعل الزُّرْنُوجي المعاصي من أهم الأسباب التي تؤثر في الحفظ وتورث النسيان وذكر في ذلك أبياتاً من الشعر تنسب للشافعي: [الزُّرْنُوجي: ١٠٣].

شكوت إلى وكيع(١) سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي
فإن الحفظ فضل من إلهي   وفضل الله لا يهدى لعاصي

---

(١) وكيع: أبو سفيان وكيع بن الجراح الكوفي، تلميذ أبي حنيفة، وأبي يوسف، وشيخ الإمام الشافعي. المتوفى سنة١٩٢هـ.{اللكنوي، ١٣٢٤ ، ٢٢٢-٢٢٣}

وذكر الزُّرْنُوجي أن التعرض لأشياء مفاجئة، أو غريبة، أو مؤلمة قد تورث النسيان، مثل: النظر إلى المصلوب، وقراءة اللوح الذي يكتب عليه شيء من القرآن واسم الميت ويوضع على القبور. قال الزُّرْنُوجي: ((والنظر إلى المصلوب، وقراءة لوح القبور(...) كلها تورث النسيان)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٦].

٣/٢/٥-عوامل الأنشطة: وهي الأنشطة التي يقوم بها المتعلم، فذكر الزُّرْنُوجي أن اشتغاله بالدنيا، وهمومها، وكثرة علاقاته مع الناس الآخرين تورث النسيان؛ [الزُّرْنُوجي: ١٠٤].

٤/٢/٥-العوامل الجسمية: ذكر الزُّرْنُوجي بعض الأغذية التي بنظره تورث النسيان؛ كالتفاح الحامض، والكزبرة. قال الزُّرْنُوجي: ((وأما أسباب نسيان العلم، فأكل الكزبرة الرطبة، وأكل التفاح الحامض (.....) والحجامة على نقرة القفا)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٥-١٠٦]. وقال أيضاً: ((قيل اتفق سبعون نبياً عليهم الصلاة والسلام على أن أكثر النسيان من كثرة البلغم، وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء، وكثرة شرب الماء من كثرة الأكل)) [الزُّرْنُوجي: ٦٢].

وقد خطّأ الدكتور محمد حسن العمايرة الزُّرْنُوجي عندما جعل الحجامة سبباً للنسيان، فقال: ((والزُّرْنُوجي أخطأ عندما جعل الحجامة سبباً للنسيان؛ لأن رسول الله ﷺ يرى أن الحجامة تزيد في الحفظ. روى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: ((**الحجامة شفاء وبركة وتزيد في العقل والحفظ**))[1] [العمايرة، ٢٠٠٠م، ٢٩٦، ٢٩٧].

إن تخطئة العمايرة للزرنوجي ليست في محلها؛ لأن الزُّرْنُوجي لم يجعل الحجامة مطلقاً سبباً في النسيان، بل ذكر الحجامة على نقرة[2] القفا هي التي تورث النسيان. قال الزُّرْنُوجي: ((والحجامة على نقرة القفا (....) كلها تورث النسيان)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٦].

---

(١) هذا الحديث رواه ابن ماجه بلفظ: ((الحجامة على الريق أمثل، وهي تزيد في العقل، وتزيد في الحفظ)) [ابن ماجه، كتاب الطب، باب في أي الأيام يحتجم، ١١٥٤/٢]. وقال عنه الكناني في مصباح الزجاجة ((هذا إسناد فيه الحسن ابن أبي جعفر، وهو ضعيف)) [مصباح الزجاجة، كتاب الطب، باب في أي الأيام يحتجم، ٦٤/٤].

(٢) نقرة القفا: أسفل الرأس مما يلي العنق، وهو ما بين العصبين. [العطا، ١٩٩٨، ١٠٦]. والحجامة: بذل الدم الفائض في البدن.

ويشفع للزرنوجي في صوابه وخطأ العمايرة أيضاً أن النبي ﷺ ذكر أن ((**الحجامة في نقرة الرأس توجب النسيان فتجنبوا ذلك**)) [الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ٢/١٥٤، وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء ١/٤١٦: ((قال في المقاصد: رواه الديلمي عن أنس مرفوعاً، وفي سنده عمر بن واصل، اتهمه الخطيب بالوضع))].

ومما سبق يبدو أن الزُّرْنوجي يفرق بين الحفظ والنسيان، فالنسيان عنده لا يعني نقص الحفظ، ولا الحفظ عنده هو نقصان النسيان، إذ هما ظاهرتان مختلفتان. [العمايرة، ٢٠٠٠م، ٢٩٦].

٦- التعلم عن طريق المذاكرة والمطارحة والمناظرة

٦/١- المذاكرة

المذاكرة مأخوذة من ذَكَرَ الشيء، ذِكْراً، وذُكْراً، وذِكْرى، وتذكاراً: أي حفظه، واستحضره، وجرى على لسانه بعد نسيانه. ذاكَرَه في الأمر: كالمه فيه، وخاض في حديثه. تذاكروا في الأمر: تفاوضوا فيه. [أنيس، وآخرون، ١٩٩٠، ٣١٣].

والمذاكرة هي: ((التداول والمراجعة بين الطالب وكتابه)) [العطا، ١٩٩٨، ٧٠]. ولكن الزُّرْنوجي وسع من مفهوم المذاكرة، فلم يحصرها في الطالب وكتابه، بل ذكر أنها يمكن أن تكون بين الطالب وطالب آخر، وذلك حينما بيّن خصائص الطلاب الذين يشتركون في المذاكرة، فقال: ((وإيّاك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسربة،والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة)) [الزُّرْنوجي: ٧١]. وقال أيضاً: ((حكي أن أبا يوسف ــ رحمه الله تعالى ــ كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط)) [الزُّرْنوجي: ٨٢].

اهتم الزُّرْنوجي بالمذاكرة، وجعلها من أهم طرق التعلم، التي يجب على المتعلم أن يأخذ بها، ويداوم عليها. قال الزُّرْنوجي: ((ولا بد لطالب العلم من **المذاكرة** والمناظرة والمطارحة))

[الزُّرْنُوجي: ٧٠]. وقال أيضاً: ((وإنما تفقه أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ بكثرة **المطارحة والمذاكرة** في دكانه حين كان بزّازاً[1])) [الزُّرْنُوجي: ٧٥].

ونقل الزُّرْنُوجي في أهمية المذاكرة شعراً لبعض المشايخ، فقال: [الزُّرْنُوجي: ٦٩].

ذاكر النـــاس بـــالعلوم لتحيـــا   ولا تكن من أولي النهى ببعيد
إن كتمت العلوم أُنسيت حـــتى   لا ترى غير جاهـــل وبليـــد

وقد قيل في المذاكرة من الشعر أيضاً: [العطا، ١٩٩٨، ٧٠]

وأدم للعلـــــم مـــــذاكرة   فحيـــاة العلـــم مذاكرتـــه

٢/٦- المطارحة

المطارحة: طرح الشيء وبالشيء رماه. المطارحة: إلقاء القوم المسائل بعضهم على بعض. [الرازي، ١٩٨٨، ١٦٣].

المطارحة هي: ((البحث في المسائل المطروحة بين الأقران وأصدقاء الطلب)) [العطا، ١٩٩٨، ٧٠]. أو هي: ((إلقاء الدارسين المسائل والمشكلات بعضهم على بعض في صورة محاورة ومبادلة للرأي)) [العمايرة، ٢٠٠٠، ٢٩٩]. أو هي: ((طريقة فطرية إدراكية للتفكير السليم، أو التثبت من الأفكار القائمة فعلاً، وهي إجراء منطقي يهدف إلى إثبات فكرة، أو عقيدة للتأكد من صحتها، وتستخدم هذه الطريقة في التعلم منطلقة من معلومات المتعلم، وقناعته الذاتية، أو خبراته الشخصية القائمة، والتي تعتبر معياراً مشتركاً مع الآخرين.إذ يسير المعلم بخبراته مع خبرات المتعلم ذاته، وتجاربه، فما صمد منها على محك النقد أبقى عليه، وما ظهر فيه ضعف كان موضع شك،

(١) البزّاز: بائع البَزّ، وهو تاجر الأقمشة، والبَزُّ: القطن الناعم، أو الكتان ونحوه. [العطا، ١٩٩٨، ٧٥].

أو إعادة نظر يشعر به المتعلم تلقائياً وذاتياً. وهنا يتبين لنا أهمية هذه الطريقة في التعلم والتربية؛ لأنها تقوم على النشاط الذاتي الفكري مع العملي للمتعلم)) [الهاشمي، ١٤٠٥هـ، ٤٥٣- ٤٥٤].

فالمطارحة طريقة من طرق التعلم، تقوم على النشاط الذاتي للمتعلم، ويتم فيها مبادلة الرأي بين طرفين، ومناقشته، ولا تخلو من طرح الأسئلة بين الأطراف المتناقشة، والتي تهدف إلى بيان الحقيقة، وإزالة الأوهام والشُّبه التي تعترض أحد الأطراف. بالإضافة إلى أن التأمل في المعلومات والأفكار التي يطرحها المتناقشون يمكن أن يؤدي إلى حل مشكلة البحث المطروحة.

ومن أهم فوائد هذه الطريقة التي تقوم على المناقشة أنها تعلم التفكير الانتقادي الذي يصحح عيوب الأدلة، ويحسّن الآراء، ويميزها، وتخلق في أطراف المناقشة الاستعداد ولتبديل آرائهم؛ لأن المتناقش يتأمل ويفكر ملياً أفكار غيره، ويتفحصها مثلما ينظر في أفكاره. وهذا يعني ((أنه يمكن أن ينمي قابلية النظر إلى أفكاره بصورة موضوعية، فقد يجد أن أفكاره ليست جيدة بالقدر الذي كان يظن، وأن آراء خصمه ليست سيئة بالقدر الذي كان يحسبه في أول الأمر. وهذا يمكن أن يخلق فيه الاستعداد لتبديل رأيه اعتماداً على البراهين المنطقية، ولكن ليس من الضروري أن يفعل هذا)) [هوفر: ٦٤].

وهذه الطريقة التي تعتمد المناقشة ((والمناقشة أكثر ما تنفع حين توجد خلافات الرأي في الميادين التي تدور حولها. وهي طريقة مثالية لغرز الحقائق وغربلة القيم، وتطويرها من أجل حل المشكلات. والمناقشة تلائم بصورة مثالية تحقيق الأهداف المعرفية (العقلية) العليا،كما تفيد في تحقيق الأهداف العاطفية)) [هوفر: ٦٣].

اهتم الزُّرْنوجي بالمطارحة، وجعلها من أهم طرق التعلم، وتحدث عن الشروط التي من شأنها أن تنميها، وتطورها. وقارن بينها وبين التكرار فجعلها أكثر فائدة منه، فقال: ((وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من مجرد التكرار؛ لأن فيها تكراراً أو زيادة. فقد قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن إذا كان مع منصف سليم الطبيعة)) [الزُّرْنوجي: ٧١].

٦/٣– المناظرة

المناظرة: من نظر يقال: ناظرت فلاناً، أي صرت له نظيراً في المخاطبة. وناظرت فلاناً بفلان، أي جعلته نظيراً له. والتناظر: التراوض في الأمر. ونظيرك: الذي يراوضك وتناظره. [ابن منظور، ٥/٢١٩].

والمناظرة هي: ((عملية إثبات صحة وجهة نظر، أو خطئها، أو إظهار سلامة أسلوب، أو عدم سلامته بالاستعانة بالحجج والبراهين [هوفر: ٨٥]. أو هي: ((المباحثة بين مختلفي الرأي لاستخراج الصواب)) [العطا، ١٩٩٨، ٧٠]. والغاية من المناظرة: ((التأثير في المستمعين، وإقناعهم في الأخذ بوجهة النظر، أو تركها،أو التمسك بأسلوب العمل، وهجره)) [هوفر: ٨٥].

وتهدف المناظرة أيضاً إلى تزويد المتعلمين بوجهات نظر متعارضة، وأحياناً متطرفة، لكي يمكن إيضاح وجهات النظر المتوسطة أو المعتدلة. [هوفر: ٨٨].

وإذا كانت المناظرة فيها مناقشة وزيادة، فإنها تفيد في إثارة اهتمام المتعلمين، وروح المبادرة لديهم، والمساهمة في تكوين عادات التفكير السليم، ولا سيما التفكير الانتقادي [أوبير: ١٩٦٧، ٦٢٣. انظر: هوفر: ٨٥].

وتحدث الزُّرْنُوجي عن أهمية المناظرة في التعلم بقوله: ((وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار؛ لأن فيها تكراراً وزيادة)) [الزُّرْنُوجي: ٧١]. وسيأتي ذكر مزيد من كلام الزُّرْنُوجي عن المناظرة في أثناء الحديث عن شروطها.

٦/٣/١– الفرق بين المناظرة والمطارحة

وإذا كانت المناظرة تشترك مع المطارحة في تحريض تفكير المتعلم، وتصحيح مساره، وتشجيعه على الحوار والمشاركة والعمل، وهذا كله من شأنه أن ييسر التعلم، وينميه، فإن هناك اختلافاً بين المناظرة والمطارحة، ((لكن المتناظر يختلف عن المتناقش في أنه قد انتقل من موقف الباحث مع الآخرين عن أفضل حل لإحدى المشكلات إلى موقف المؤمن المقتنع بأنه اهتدى إلى أحسن الحلول. لذلك تعتبر مهمته إقناع الآخرين بالأخذ بوجهة نظره. ويظهر من هذا أن المناقشة

عملية تعاونية بينما المناظرة عملية تنافسية. المتنافس يبحث ويتحرى أما المتناظر فيقدم الحجج والبراهين بالإثبات والإقناع)) [هوفر: ٨٥].

٢/٣/٦- حكم المناظرة

تحدث الزُّرْنُوجي عن حكم المناظرة، وبيان ما يحل منها، وما يحرم. فذكر أن المناظرة إذا كانت بقصد إفحام الخصم، والمباهاة وإظهار الغلبة عليه، فإنها تحرم، لأن هذه الخصال من المحرمات[١]. وإذا كان القصد من المناظرة الوصول إلى الحق فإنها تجوز. وإذا كان الخصم متعنتاً برأيه، وغير طالب للحق فإنه يجوز حينئذ مناظرته. قال الزُّرْنُوجي: ((فإن كانت نيته إلزام الخصم فلا تحل المناظرة، وإنما تحل لإظهار الحق، والتمويه. والحيلة فيها لا تجوز إلا إذا كان الخصم متعنتاً؛ لا طالباً للحق)) [الزُّرْنُوجي: ٧١-٧١]. وحذر الزُّرْنُوجي المتعلم من الاشتغال بالمناظرة القائمة على الجدل المذموم الذي لا يقصد منه الوصول إلى الحق. فقال: ((وإيّاك أن تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنه يبعد الطالب عن الفقه، ويضيع العمر، ويورث الوحشة والعداوة)) [الزُّرْنُوجي: ٣٣].

٤/٦- شروط المذاكرة والمطارحة والمناظرة

يستشف مما ذكر الزُّرْنُوجي عن هذه الطرق أنها لن تؤتي ثمارها في التعلم ما لم يراعَ فيها الشروط الآتية:

١/٤/٦- التأمل والتأني في المعلومات

إذا كان الغرض من المذاكرة والمطارحة والمناظرة فهم الكلام ليتمكن المتعلم من حفظه، أو الرد على خصمه، أو مناقشته فإنه يتعين على المتعلم أن يتأمل ما يقرأ، أو يسمع، أو يكتب. قال الزُّرْنُوجي: ((ولا بد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صواباً (.....) وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل (.....) فإنما تدرك الدقائق على التأمل. ولهذا قيل: تأمل تدرك)) [الزُّرْنُوجي: ٧٢].

---

(١) لأن الرياء والمباهاة، والتكبر على الناس من المحرمات.

وقال أيضاً: ((ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة، فينبغي أن يكون بالإنصاف والتأني والتأمل)) [الزُّرْنُوجي: ٧٠].

ويلاحظ من كلام الزُّرْنُوجي السابق أنه لا يطلب من المتعلم التأمل في المعلومات، وعدم الإسراع في الرد على الخصم فحسب، بل يلزمه إنصاف خصمه، ولا سيما في المناظرة، فلا يعانده إذا ظهر الحق إلى جانبه ((فيرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ، وأظهر له الحق (....) فحقه إذا ظهر الحق على لسان خصمه أن يفرح به ويشكره، لا أنه يخجل، ويسودّ وجهه (....) ويجتهد في مجاحدته، ومدافعته جهده)) [العلموي، د. ت، ١١٦].

ويطلب الزُّرْنُوجي من المتعلم ولا سيما في المناظرة التروي عند عدم القدرة على الجواب، فقال: ((وكان محمد بن يحيى ــ رحمه الله تعالى ــ إذا توجه عليه الإشكال ولم يحضره الجواب، يقول: ما ألزمْته لازم، أنا فيه ناظر، وفوق كل ذي علم عليم)) [الزُّرْنُوجي: ٧١].

٦/٤/٢- الاستمرار

يطلب الزُّرْنُوجي من المتعلم أن يواظب على المذاكرة والمطارحة والمناظرة، وألا ينقطع عن التعلم. إذ إن الاستمرار في هذا الأنشطة يضمن فعالية التعلم، وتنميته ، والانقطاع عنها يورث النسيان.

قال الزُّرْنُوجي: ((وإنما تفقه أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكانه حين كان بزّازاً)) [الزُّرْنُوجي: ٧٥].

وقال الزُّرْنُوجي: ((وليكرر وليذاكر، ولا يكسل، وليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك التعلم والتفقه)) [الزُّرْنُوجي: ٧٦].

وحذّر الزُّرْنُوجي المتعلم من الانقطاع عن التعلم، ولو فترة قليلة. فقال: ((وينبغي ألا يكون لطالب العلم فترة فإنها آفتُه، وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين ــ رحمه الله تعالى ــ يقول: إنما فقت على شركائي بأني لم تقع لي فترة في التحصيل)) [الزُّرْنُوجي: ٨٣]. واستدل الزُّرْنُوجي بأهمية الاستمرار في طرق التعلم ولا سيما المناظرة، وآفة الانقطاع عنها بما نقله عن شيخ الإسلام

علي بن محمد الإسبيجابي الحنفي فقال: ((وقع له في زمان تحصيله وتعلمه فترة اثنتي عشرة سنة بانقلاب الملك، فخرج مع شريكه في المناظرة إلى حيث يمكنهما الاستمرار في طلب العلم، وظلاً يدرسانه معاً اثنتي عشرة سنة فصار شريكه شيخ الإسلام للشافعيين، وكان هو شافعياً)) [الزُّرْنُوجي: ٨٣].

٦/٤/٣- مراعاة نشاط المتعلم في أثناء التعلم

يستدل الزُّرْنُوجي بأهمية القوة والنشاط، وأثرها في التعلم بفعل أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، فيقول: ((حكي أن أبا يوسف ــ رحمه الله تعالى ــ كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط (......) لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط)) [الزُّرْنُوجي: ٨٢].

٦/٤/٤- اختيار الشريك الحسن

حرص الزُّرْنُوجي على تنبيه المتعلم بضرورة اختيار الشريك الذي يستفيد منه، ويزيد في همته للتعلم، سواء كان ذلك في المذاكرة أم المطارحة أم المناظرة؛ لأن للشريك المناقش أو المناظر أو المذاكر أثراً في إفادة شريكه، أو كسله. فذكر الزُّرْنُوجي صفات الشريك بقوله: ((وأما اختيار الشريك فينبغي أن يختار المجدّ والورع، وصاحب الطبع المستقيم، ويفر الكسلان، والمعطل، والمكثار، والمفسد، والفتّان)) [الزُّرْنُوجي: ٣٧]. وقال أيضاً: ((إياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسربة، والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة)) [الزُّرْنُوجي: ٧١].

فطلب من المتعلم أن يختار الشريك المجدّ، وصاحب الطبع السليم، والخلق العظيم، لأنه يتأثر به، فقد يرث منه الاجتهاد إذا كان أقل من شريكه اجتهاداً، وأن يبتعد عن الشريك الأقل قدرة منه على التعلم، فيبتعد عن الكسلان، والمعطّل الذي يضيع وقته في غير تحصيل العلم، والمكثار الذي يكثر مما ليس للعلم فيه مصلحة من محاورة وانشغال، والنّمام الذي ينقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد؛ لأن هؤلاء يؤثرون على تعلم شركائهم.

وأشار ((كينث هوفر)) إلى أهمية اشتراط المساواة في المقدرة العلمية بين المتناظرين فقال: ((ويستحسن أن يكون الفريقان متساويين في المقدرة)) [هوفر: ٩٩].

ونقل الزُّرْنُوجي عن المشايخ بعض الشعر الذي يبين صفات الشريك فقال: [الزُّرْنُوجي: ٣٧].

لا تصحب الكسلان في حالاته   كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة   كالجمر يوضع في الرماد فتخمد

وقال أيضاً:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي
فإن كان ذا شر فجانبه سرعة   وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

وطلب الزُّرْنُوجي من المتعلم أن يعظم شركاءه في طلب العلم سواء أكان ذلك في المذاكرة أم المناظرة أم المطارحة، فقال: ((ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس، ومن يتعلم منه، والتملق مذموم إلا في طلب العلم، فإنه ينبغي أن يتملق[1] لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم)) [الزُّرْنُوجي: ٤٧]. وقال أيضاً طالباً من المتعلم الاستماع إلى شريكه وأن كرر ذلك كثيراً. ((وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم الحرمة، وإن سمع المسألة الواحدة، أو الكلمة الواحدة ألف مرة. قيل: من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة فليس بأهل للعلم)) [الزُّرْنُوجي: ٤٧].

وأشار إلى أهمية التمسك بالمبادئ الديمقراطية في أثناء التعلم ((كينث هوفر)) فقال: ((على الرغم من عدم القدرة على الوصول بين الأطراف المتناظرة إلى حل الخلافات، لكن لا بد حينئذ لكل طرف من التمسك بالمبادئ الديمقراطية للعدل والإنصاف (.....) ويتوقع من المتناظر أن يستغل إلى أقصى حد مشاعر المستمعين، لكنه على الرغم من ذلك لا يحاول تحطيم كرامة خصومه، والإساءة إليهم. وهو إذ يبين أخطاءهم لا يتهمهم بسوء النية، بل يشير إلى أن أخطاءهم

(١) التملّق: تملّق، أي: تودد إليه، وتلطف له. [الرازي، ١٩٨٨، ٢٦٤]

يرجع إلى نقص المعلومات أو إلى الاغترار بأقوال الآخرين أو أفكارهم، أو حاجاتهم إلى الإحاطة العامة بجميع جوانب المشكلة المطروحة للبحث)) [هوفر: ٨٦].

وقد أشار الزُّرْنُوجي إلى هذه المبادئ الديمقراطية في التعلم بالنص السابق وبما ذكره من أهمية التأني والإنصاف والتأمل في التعلم وقد مر سابقاً.

وقد أشار إلى هذه المبادئ من قبل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقوله: ((لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمناً)) [الكاندهلوي: ١٩٩٩، ٣/١٦١]. وأشار إليها أيضاً الصحابي عمر بن الخطاب بقوله: ((تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء)) [الكاندهلوي، ١٩٩٩، ٣/١٦١].

٦/٤/٥- تهيئة الجو النفسي الملائم

طلب الزُّرْنُوجي من المتعلم في أثناء تعلمه أن يبتعد عن كل ما يشوش فكره، ويشتت ذهنه، وأن يبتعد عن كل ما يعوق تعلمه. فأرشد المتعلم إلى عدم الشغب، والفوضى، ورفع الصوت بما لا فائدة فيه، والابتعاد عن الغضب لأن ذلك كله يؤثر في تعلمه. قال الزُّرْنُوجي: ((ويتحرز عن الشغب، والغضب، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب، وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف، ولا يحصل بالغضب والشغب)) [الزُّرْنُوجي: ٧٠].

٦/٤/٦- أن يكون قصد المتعلم طلب الحق لا إلزام الخصم

وهذا الشرط ذكره الزُّرْنُوجي فيما يخص المناظرة، إذ طلب من المناظر أن يسعى إلى طلب الحق، ومعرفته، ولا يسعى لمجرد إفحام خصمه، فيطرح عليه الأسئلة التي يقصد منها تعجيز خصمه عن الإجابة عنها.

قال الزُّرْنُوجي: ((فإن كانت نيته إلزام الخصم، فلا تحل المناظرة، وإنما تحل لإظهار الحق)) [الزُّرْنُوجي: ٧٠].

٧- التعلم عن طريق السؤال

السؤال طريقة من طرق التعلم، اهتم بها التربويون قديماً وحديثاً، وذكرها الزُّرْنُوجي بما يفهم من كلامه على أنها طريقة مستقلة، وإن كانت تدخل ضمن المطارحة والمناظرة؛ لأنهما لا يخلوان غالباً من الأسئلة والإجابة عنها. وذكرها الباحث هنا؛ لأن الزُّرْنُوجي قد نص على أنها طريقة يُدرك بها العلم نقلاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: ((قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بمَ أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول)) [الزُّرْنُوجي: ٧٥].

١/٧-السؤال في القرآن

لقد أكد القرآن الكريم هذه الطريقة في آيات عدة، منها: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل:٤٣].

٢/٧- السؤال في السنة

استعمل النبي ﷺ طريقة السؤال مع صحابته لاستخراج الحقيقة منهم، أو لتفتيح أذهانهم لتلقيها بعد تشوفهم، كقوله ﷺ لأصحابه: ((**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**)) [مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ١٩٩٧/٤].

٨- الخاتمة

أشار الزُّرْنُوجي إلى الطرائق التي تنمي التعلم في عصره؛ كالفهم، والتكرار، والتأمل، والحفظ، والمذاكرة، والمطارحة، والمناظرة، والسؤال. فتحدث عن الفهم، وأثره في التعلم، ووسائل تحقيقه، والتأمل، وخصائصه، وثمراته، والتكرار، وشروطه، ووظائفه، والحفظ، والعوامل العقلية، والانفعالية، والجسمية التي تزيد فيه، أو تنقص منه. كما اهتم بالمذاكرة، والمطارحة، والمناظرة، وعدّها طرائق أساسية في التعلم، وربط بينها، وذكر أهم الشروط التي ينبغي مراعاتها فيها، لكي تؤتي ثمارها في عملية التعلم. ومعظم الأفكار التي طرحها الزُّرْنُوجي في مجال طرائق التعلم دعت إليها التربية الحديثة.

الفصل الخامس

العوامل المساعدة على التعلم ومعوقاته عند الزُّرْنُوجي

١- مقدمة

هناك عوامل عدة، يمكن أن تؤثر في التعلم إيجابياً فتنميه، أو سلبياً فتعيقه. واستشف الباحث مما ذكره الزُّرْنُوجي عن آداب المعلم والمتعلم، والعلاقة بينهما، والنية حال التعلم، واختيار العلم، وما يتعلق به، ووقت تحصيله، فيما يورث الحفظ والنسيان....إلخ أهم العوامل التي تساعد على التعلم أو تعيقه. وتمثلت هذه العوامل في عوامل جسمية تتعلق فيما يحتاج إليه الجسم من الطعام والشراب وغيرهما، وعوامل انفعالية تتعلق بقضايا إسلامية، وأخلاقية، وعوامل تربوية تتصل بمسائل تتعلق في المجالات التربوية؛ كتنوع التعلم، وأدواته، والحرية فيه...إلخ، وعوامل اجتماعية تتعلق ببعض آداب العلاقات الاجتماعية. ويشير الباحث النظر إلى أن هذا التقسيم إلى تلك العوامل إنما هو حاجة دراسية، اقتضتها طبيعة البحث، وإلا فإنه هناك تداخل بين هذه العوامل. إذ تجد أن بعض المسائل في العوامل الاجتماعية يمكن أن تتعلق بالنواحي التربوية، وكذلك العكس.

٢- عوامل جسمية

تحدث الزُّرْنُوجي عن جملة من العوامل الجسمية التي تؤثر في التعلم سلبياً، أو إيجابياً، فذكر أن بعض أنواع الطعام والشراب تساعد في التعلم، مثل: شرب العسل، وأكل الزبيب، قال الزُّرْنُوجي: ((والسواك وشرب العسل (...) وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق يورث الحفظ)) [الزُّرْنُوجي:١٠٣]، وبعضها الآخر يعيق التعلم، مثل: أكل التفاح الحامض، والكُزْبرة الرّطبة، فقال: ((أما أسباب نسيان العلم، فأكل الكُزْبرة الرطبة، وأكل التفاح الحامض)) [الزُّرْنُوجي:١٠٥]. وذكر أيضاً أن كثرة النوم تقلل من التعلم، فقال: ((وكثرة النوم تورث الفقر، وفقد العلم)) [الزُّرْنُوجي:١٠٧-١٠٨].

وذكر الزُّرْنُوجي أيضاً أن كثرة الطعام وشرب الماء تؤثر في التعلم، فتقلل منه، قال الزُّرْنُوجي: ((قيل إن أكثر النسيان من كثرة البلغم، وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء، وكثرة

شرب الماء من كثرة الأكل، والخبز اليابس يقطع البلغم، وكذلك أكل الزبيب على الريق، ولا يكثر منه حتى لا يحتاج إلى شرب الماء فيزيد البلغم)) [الزُّرْنُوجي:٦٢]، وقال أيضاً: ((قيل: البطنة تذهب الفطنة)) [الزُّرْنُوجي:٦٤]، وقال أيضاً: ((والأكل فوق الشبع ضرر محض))[الزُّرْنُوجي:٦٤].

وذكر شيئاً من الشعر يتعلق بما سبق فقال: [الزُّرْنُوجي:٥٣].

أقلل طعامك كي تحظى به سهراً   إن شئت يا صاحبي أن تبلغ الكملا

وقال أيضاً: [الزُّرْنُوجي:٥٤]

يا طالب العلم باشر الورعا   وجنّب النوم واترك الشِّبعا

وذكر الزُّرْنُوجي أيضاً أن الحجامة على نقرة القفا تؤثر في التعلم، فتورث نسيان العلم، فقال: ((والحجامة على نُقْرة القفا (....) كلها تورث النسيان))[الزُّرْنُوجي:١٠٦].

إن ما ذكره الزُّرْنُوجي من تلك العوامل من معتقدات عصره، وقد ورد في بعضها بعض الأحاديث أو الآثار عن الصحابة، والحكم على مثل هذه الأمور التي تتعلق بالطعام والشراب، ولا سيما التي لم ترد في أحاديث صحيحة يرجع إلى الطب والعلوم الأخرى التي تؤكد صحتها أو خطأها، ومدى تأثيرها في التعلم.

٣- عوامل انفعالية

ذكر الزُّرْنُوجي جملة من الأمور التي تتعلق بالنواحي الدينية، ويرى أنها تؤثر في التعلم سلبياً أو إيجابياً، فذكر من جملة العوامل التي تزيد من التعلم الصلاة، والصيام، والشكر، والصلاة على النبي محمد ﷺ، والورع، وقراءة القرآن، والإخلاص لله ﷻ، والصبر على التعلم، والحرص عليه، وكون المتعلم على وضوء في أثناء عملية التعلم، ويمكن ذكر النصوص المتعلقة بهذه الأمور بشكل مختصر؛ لأنه سبق ذكر بعضها في فقرات سابقة. وفيما يتعلق بالصلاة وقراءة القرآن قال الزُّرْنُوجي: ((وصلاة الليل، وقراءة القرآن من أسباب الحفظ)) [الزُّرْنُوجي:١٠٢]، وقال:

((ويصلي صلاة الخاشعين، فإن ذلك عون له التحصيل والتعلم)) [الزُّرْنُوجي:٩٩]، وفيما يتعلق بالورع قال: ((فمهما كان طالب العلم أورع كان علمه أنفع، والتعلم له أيسر، وفوائده أكثر))[الزُّرْنُوجي:٩٧] وقال أيضاً: ((وهكذا كانوا يتورعون، فلذلك وفقوا للعلم، والنشر، حتى بقي اسمهم إلى يوم القيامة))[الزُّرْنُوجي:٩٨].

وفي الإخلاص بطلب العلم يقول: ((وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى، والدار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه، وعن سائر الجهال، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام، فإن بقاء الإسلام بالعلم)) [الزُّرْنُوجي:٢٧].

وفي الطهارة في أثناء التعلم يذكر عن بعض العلماء فيقول: ((والشيخ الإمام شمس الأئمة السَّرَخْسي رحمه الله تعالى كان مبطوناً(١)، وكان يكرر في كل ليلة فتوضأ في تلك الليلة سبع عشرة مرة؛ لأنه كان لا يكرر إلا بالطهارة (الوضوء)، وهذا؛ لأن العلم نور فيزداد نور العلم به)) [الزُّرْنُوجي:٤٤].

وذكر الزُّرْنُوجي أن المعاصي وكثرة الذنوب من أهم العوامل التي تعيق التعلم، قال في ذلك: ((وأما ما يورث النسيان فالمعاصي)) [الزُّرْنُوجي:١٠٤]. وقال أيضاً: ((وينبغي لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة، فإنها كلاب معنوية (...) وليحترز خصوصاً عن التكبر، فمع التكبر لا يحصل العلم)) [الزُّرْنُوجي:٤٩].

وذكر في ذلك شعراً نسبه إلى الشافعي، فقال: [الزُّرْنُوجي:١٠٣].

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

فإن الحفظ فضل من إلهي ... وفضل الله لا يُهدى لعاصي

وفيما يتعلق بالشكر قال الزُّرْنُوجي: ((ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بالشكر باللسان والجَنان، والأركان، والمال، ويرى الفهم والعلم، والتوفيق من الله تعالى)) [الزُّرْنُوجي:٧٧].

---

(١) مبطوناً: انطلاق البطن، ويسمى في عصرنا بـ ((الإسهال)).

ويستشف من الشعر الذي أورده الزُّرْنُوجي أنه يرى أن فعل الأوامر، وترك النواهي أصل مهم في التعلم. فقد ذكر شعراً لبعض العلماء، فقال: [الزُّرْنُوجي:١٠٠].

كـن للأوامـر والنواهـي حافظـاً وعلـى الصلاة مواظبـاً ومحافظـاً
واطلب علـوم الشـرع واجتهد واستعن بالطيبـات تصـر فقيهـاً حافظـاً
واسأل إلهك حِفْظَ حفظِـك راغبـاً فـي فضله فـالله خيـر حافظاً

وتحدث الزُّرْنُوجي أيضاً عن بعض العوامل الانفعالية؛ كالهم، والحزن، وبين تأثيرهما السلبي في التعلم: ((لأن الهم والحزن لا يرد المصيبة، ولا ينفع، بل يضر بالقلب، والعقل، والبدن)) [الزُّرْنُوجي: ٨٥]. وقال أيضاً: ((وأما ما يورث النسيان (...) الهموم والأحزان في أمور الدنيا)) [الزُّرْنُوجي: ١٠٤]. وبين أن من ثمرات تحصيل العلم، وفوائده القضاء على الهموم والأحزان، فقال: ((وتحصيل العلم ينفي الهم والحزن)) [الزُّرْنُوجي:١٠٥].

٤- عوامل تربوية

ذكر الزُّرْنُوجي جملة من العوامل التي تتعلق بمجال التربية يرى أنها تؤثر في التعلم، وقد مر ذكر كثير منها في فقرات سابقة، ويذكر الباحث أهمها فيما يأتي:

٤/١- أدوات التعلم

ذكر الزُّرْنُوجي أهمية بعض أدوات التعلم في عملية التعلم؛ كالقراءة، والكتابة، والقلم. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي أن يستصحب دفتراً على كل حال ليطالعه، وقيل: من لم يكن له دفتر في كمه لم تثبت الحكمة في قلبه. وينبغي أن يكون في الدفتر بياض ليكتب فيه ما سمعه من أفواه الرجال، ويستصحب المِحْبرة ليكتب ما سمع))[الزُّرْنُوجي:١٠١]. وقال أيضاً: ((وحسن الخط (...) يزيد في الحفظ والرزق)) [الزُّرْنُوجي:١١٠]. وأرشد الزُّرْنُوجي المتعلم إلى أهمية الكتابة، واقتناء الكتب بقوله: ((ويشتري بالمال، ويستكتب فيكون عوناً على التعلم والتفقه))[الزُّرْنُوجي:٧٩].

وتحدث الزُّرْنُوجي أيضاً عن أهمية حسن الخط في التعلم، وأرشد المتعلم إلى الابتعاد عن القَرْمَطة التي تعني تصغير الخط، والتضيق بين الأسطر؛ لأنها تعوق التعلم، فإذا ما كبر الإنسان فإنه قد لا يستطيع أن يقرأ هذا الخط، بسبب ضعف بصره. قال الزُّرْنُوجي: ((أن يجود كتابة الكتاب، ولا يُقَرمِط (...) ورأى أبو حنيفة كاتباً يقرمط في الكتابة، فقال: لِمَ تقرمط خطك؟ إن عشت تندم، وإن مت تشتم! يعني إذا شخت، وضعف بصرك ندمت على ذلك)) [الزُّرْنُوجي:٤٦].

وتحدث أيضاً عن صفات الكتاب وحجمه، فقال: ((وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مربعاً، فإنه تقطيع أبي حنيفة رحمه الله، وهو أيسر إلى الرفع، والوضع، والمطالعة)) [الزُّرْنُوجي:٤٧].

٢/٤- احترام المعلم

ذكر الزُّرْنُوجي بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم في أثناء تعامله مع أستاذه، وهذه الصفات من شأنها أن تساعده على التعلم. فقال: ((ومن توقير المعلم، ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ الكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده إلا بإذنه، ولا يسأل شيئاً عند ملالته، ويراعي الوقت (...)، ومن توقيره توقير أولاده، ومن يتعلق به)) [الزُّرْنُوجي:٤٠، ٤١]. وذكر الزُّرْنُوجي أن عدم امتثال المتعلم لتلك الآداب قد يؤذي أستاذه، وحينئذٍ يقل تعلمه. فقال: ((فمن تأذى منه أستاذه يُحرم بركة العلم، ولا ينتفع به إلا قليلاً)) [الزُّرْنُوجي:٤٢].

وأنشد الزُّرْنُوجي في ذلك شعراً فقال: [الزُّرْنُوجي:٤٣]

إن المعلـــم والطبيـــب كلاهما لا ينصحـــان إذا همـــا لـــم يُكرمـــا
فاصبـــر لدائـــك إن جفـــوت طبيبـــه واقنـــع بجهلـــك إن جفـــوت معلـــماً

٣/٤- تنويع التعلم

يرشد الزُّرْنُوجي المتعلم إذا ما ملّ من نوع من أنواع العلم أن ينتقل إلى نوع آخر، من أجل أن يستمر في التعلم من ناحية، وليقضي على السآمة والملل من ناحية أخرى. قال الزُّرْنُوجي: ((وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته، فإذا ملّ من علم يشتغل بعلم آخر، وكان ابن

عباس رضي الله تعالى عنه إذا ملّ من علم الكلام (التوحيد) يقول: هاتوا ديوان الشعراء (...) وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل (...) وكان يضع عنده الدفاتر، وكان إذا ملّ من نوع ينظر في نوع آخر))[الزُّرْنُوجي:٨٩].

٤/٤- سن التعلم

يرشد الزُّرْنُوجي المتعلم إلى ضرورة اغتنام فرصة شبابه في طلب العلم، فذكر أن الشباب من أهم العوامل التي تساعد على التعلم، بسبب كمال أهليته للحفظ، وفراغ ذهنه عن تكاليف الحياة، ومشكلاتها، وتنمية استعداده للتعلم. قال الزُّرْنُوجي: ((قيل: وقت التعلم من المهد إلى اللحد، وأفضل الأوقات شَرْخ (مطلع الشيء، وفاتحته) الشاب)) [الزُّرْنُوجي:٨٩]. وقال أيضاً: ((فيغتنم أيّام الحداثة وعُنْفُوان الشباب)) [الزُّرْنُوجي:٥٤] ونقل في ذلك شعراً فقال: [الزُّرْنُوجي:٥٤]

وأيـــام الحداثـــة فاغتنمها ألا إن الحداثـــة لا تـــدوم

٥/٤- عدم الجمع بين فنون العلم في وقت واحد

يرشد الزُّرْنُوجي المتعلم إلى أهمية الاشتغال بفن واحد، وضرورة إتقانه، ومن ثمَّ ينتقل إلى فنون أخرى. ويرى أن المتعلم إذا ما اشتغل بأكثر من علم قبل أن يتقن الفن الأول فإن ذلك يعيق التعلم، فيقول: ((ينبغي لطالب العلم أن يثبت ويصبر (...) حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الفن الأول (...) فإن ذلك كله يفرق الأمور، ويشغل القلب، ويضيع الأوقات، ويؤذي المعلم))[الزُّرْنُوجي:٣٦].

٦/٤- الحرية في التعلم

أعطى الزُّرْنُوجي المتعلم الحرية، فدعاه إلى اختيار العلم، والأستاذ، والشريك الذي يتعلم معه، وطلب من المتعلم أن يتحمل مسؤولية اختياره. ويمكن أن تتجلى عناصر اختيار المتعلم في الأمور الآتية:

٤/٦/١–اختيار نوع العلم: طلب الزُّرْنُوجي من المتعلم أن يختار نوع العلم، فقال: ((وينبغي لطالب العلم أن **يختار من كل علم أحسنه** مما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المآل)) [الزُّرْنُوجي:٣٢].

٤/٦/٢–اختيار الأستاذ: طلب الزُّرْنُوجي من المتعلم أن يختار معلمه، فقال: ((وأما اختيار الأستاذ فينبغي أن يختار الأعلم والأورع والأسنّ)) [الزُّرْنُوجي:٣٣] وألا يتعجل في الاختيار، فأرشده إلى أهمية التأمل والمشاورة في اختيار المعلم، فقال: ((كما اختار أبو حنيفة حماد بن أبي سليمان رحمه الله بعد التأمل والتفكر، وقال: وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً، وقال: ثبتُّ عند حمّاد بن أبي سليمان فنبتُّ)) [الزُّرْنُوجي:٣٣]. وقال أيضاً ناقلاً عن بعض علماء الحنفية: ((إذا ذهبت إلى بخارى لا تعجل في الاختلاف إلى الأئمة، وامكث شهرين حتى تتأمل وتختار أستاذاً (...) فتأمل شهرين في اختيار الأستاذ، وشاور حتى لا تحتاج إلى تركه والإعراض عنه، فتثبت عنده حتى يكون تعلمك مباركاً، وتنتفع بعلمك كثيراً)) [الزُّرْنُوجي:٣٥]. ويلاحظ من كلام الزُّرْنُوجي أنه يحمل المتعلم مسؤولية اختياره، وينبغي عليه أن يثبت عند الاختيار؛ لأن في الثبات نبات، فأبو حنيفة بعد اختياره شيخه حماد ثبت عنده، وازداد علمه.

والزُّرْنُوجي لم ينصح المتعلم بالثبات عند المعلم والصبر عليه فحسب، بل يرى ضرورة ثبات المتعلم على الكتاب الذي يقرأ منه، فيتم قراءته، ولا ينقطع عنه، ويثبت على العلم الذي اختاره، فلا يشتغل بعلم غيره حتى يتقن الأول، ويثبت أيضاً على المكان الذي اختاره ليتعلم فيه. قال الزُّرْنُوجي: ((فينبغي لطالب العلم أن يثبت ويصبر على أستاذ، وعلى كتاب، حتى لا يتركه أبتر، وعلى فنّ، حتى لا يشتغل بفنّ آخر قبل أن يتقن الأول، وعلى بلد، حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة، فإن ذلك كله يفرق الأمور، ويشغل القلب، ويضيع الأوقات، ويؤذي المعلم)) [الزُّرْنُوجي:٣٦]. وقال الزُّرْنُوجي أيضاً: ((واعلم أن الصبر والثبات أصل كبير في جميع الأمور، ولكنه عزيز)) [الزُّرْنُوجي:٣٥].

٤/٦/٣-اختيار الشريك: طلب الزَّرْنوجي من المتعلم أن يحسن اختيار شريكه في التعلم، وأعانه في تحديد شروط اختيار الشريك فينبغي أن يختار المجدَّ والورع، وصاحب الطبع السليم، ويفرّ من الكسلان)) [الزَّرْنوجي:٣٧].

تبرز أهمية ما ذكره الزَّرْنُوجي عن حرية المتعلم من خلال تبني التربية الحديثة هذه الأفكار، فقد استندت طريقة دالتون التي ابتدعها هيلين باركهرست المربية الأمريكية إلى ترك الحرية الكاملة للمتعلم، لينمي من خلالها ملكاته، ويعيد له الشعور بمسؤوليته. فالمتعلم من خلال هذه الطريقة ينبغي أن يشعر بحريته، ومسؤوليته عن هذه الحرية. [أوبير، ١٩٦٧، ٦٣٧، ٦٣٩]. وكما قال كرشنشتاينر (١٨٥٤م- ١٩٣٢م): ((ينبغي أن يطبق مبدأ الحرية طرداً مع مقدار النضج الخلقي للطالب، وأن يطبق مبدأ السلطة عكساً مع ذلك النضج)) [أوبير، ١٩٦٧، ٦٨٧. وانظر: الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٣٠].

وترى هيلين باركهرست أيضاً أن الغرض من التربية هو مساعدة الفرد في الوصول إلى الكمال، وذلك من خلال ترك الطالب يعتمد على نفسه في العلم، ومنحه الفرصة كي يتصرف بحرية، وهذا يقود إلى شعور الطالب باستقلاله، واعتماده على نفسه، وقيامه بأعماله دون تدخل الآخرين. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٧٢-٢٧٣].

ومن المربين المحدثين الذين اهتموا بحرية المتعلم بالإضافة إلى هيلين، وجورج كرشنشتاينر وجون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢) المربي الأمريكي الذي دعا إلى استقلال المتعلم، وتوفير جو موافق لمبادئ الديمقراطية له. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٣٩]. والمربية ماريا منتسوري (١٨٧٠م-١٩٥٢) الإيطالية التي أكدت أهمية احترام حرية المتعلم، وأثر ذلك في تعلمه، وترى أن الغرض الرئيس من التربية هو تربية شخصية المتعلم، وتشجيع المتعلم على أن يتعلم بنفسه، ويستقل بأعماله بنفسه دون تدخل الآخرين. [عبد الدائم، ١٩٨٤، ٥٤٤، ٥٤٤]. والمربي السويسري فريير (١٨٧٩-....) الذي اهتم باستقلال الطالب، وضرورة إعطائه قدراً من الحرية، وتعويده على تحمل مسؤولية عمله تجاه نفسه ومجتمعه، وذلك من خلال مواقف حقيقية يوضع فيها، ليرى مدى

قدرته على استقلال الحرية الموفرة له، ومبلغ طاعته لأوامر الآخرين. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٧٠].

٧/٤- ربط العلم بالعمل

يعد مبدأ ربط العلم بالعمل من المبادئ الأساسية في التربية الإسلامية، وأكده الله ﷻ بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝﴾[الصف:٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝﴾[التوبة:١٠٥]، والنبي ﷺ بفعله وقوله، فقال ﷺ: ((**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه (أمعاؤه) فيدورها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك، ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**))[البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ٣/١١٩١].

ذكر الزُّرْنُوجي أهمية اقتران العلم بالعمل، واستشهد بقول أبي حنيفة في ذلك فقال: ((قال أبو حنيفة رحمة الله عليه: الفقه معرفة النفس مالها، وما عليها، وقال: **ما العلم إلا العمل به**، والعمل به ترك العاجل للآجل))[الزُّرْنُوجي:٢٦]، وقال أيضاً: ((لأن من وجد لذة **العلم والعمل** به قلما يرغب فيما عند الناس))[الزُّرْنُوجي:٢٩].

واهتمت التربية الحديثة بأهمية ربط العلم بالعمل، فأكد جون ديوي (١٨٥٩م- ١٩٥٢م) المربي الأمريكي أهمية مبدأ النشاط الذاتي والتعلم عن طريق العمل، فالمتعلم يتعلم عن طريق الخبرة الشخصية، والمعاناة، والمشاركة. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٤٠]. وأكد ذلك أيضاً المربي الفرنسي (اميل شارتيه) (١٨٦٨-١٩٥١م) الذي يعرف باسم الآن، والذي دعا إلى أهمية اكتساب المعرفة عن طريق العمل، والخبرات الشخصية المكررة. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٤٣]. ودعا المربي البلجيكي أوفيد دوكرولي (١٨٧٢-١٩٣٢م) إلى الاهتمام بالتعلم، وربطه بالحياة. والمتعلم عند دوكرولي هو الذي يلاحظ الأشياء بنفسه، ويعبر عنها بأسلوبه، ويربط بين الحقائق الحاضرة والماضية. وقامت تعاليم دوكرولي على أساس مبدأ تعلم الحياة بالحياة، حيث

جعل المدرسة حياة عن طريق وضع المتعلم في جو مدرسي يتفق والحياة الواقعية، ومنه يتعلم كيف يعيش، وكيف يعمل ضمن الحياة العملية. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٥٩، ٢٦٢].

٤/٨- المواظبة على الجِدّ وترك الكسل

اهتم الزُّرْنُوجي كثيراً بالمواظبة على التعلم وشروطها، وقد مرّ سابقاً الحديث عن ذلك مفصلاً، لكن ذكر هنا لمجرد بيان أن المواظبة تؤثر إيجابياً في التعلم، فتنميه، والكسل يؤثر سلبياً في التعلم، فيعيقه. قال الزُّرْنُوجي: ((ثم لا بد من الجِدّ والمواظبة والملازمة لطالب العلم)) [الزُّرْنُوجي:٥٠] وقال أيضاً: ((قيل: يحتاج في التعلم والتفقه إلى الجدّ ثلاثة: المتعلم، والأستاذ، والأب)) [الزُّرْنُوجي:٥٠]. وقال أيضاً: ((وإياك والكسل فإنه شؤم وآفة عظيمة)) [الزُّرْنُوجي:٥٧]. وقال الزُّرْنُوجي محذراً المتعلم من الانقطاع عن التعلم ولو فترة بسيطة: ((وينبغي ألا يكون لطالب العلم فترة، فإنها آفته)) [الزُّرْنُوجي:٨٢].

٥- عوامل اجتماعية

تحدث الزُّرْنُوجي عن أثر العلاقات الاجتماعية في التعلم، فطلب من المتعلم أن يحسن التعامل مع أفراد مجتمعه، ويتكيف معهم، ولا يشغل نفسه بما يؤثر في تعلمه. لذلك نصح المتعلم بألا يكثر من الأعمال، والعلاقات التي تشغل قلبه، وتشتت ذهنه، ومن ثَمَّ تنسيه ما تعلمه، أو تقلل من تعلمه. قال الزُّرْنُوجي: ((وأما ما يورث النسيان (...) وكثرة الأشغال، والعلائق))[الزُّرْنُوجي:١٠٤] وقال أيضاً: ((ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع، ولهذا اختاروا الغربة))[الزُّرْنُوجي:٨٥].

وذكر الزُّرْنُوجي أن ما يشغل القلب مما له علاقة بالنواحي الاجتماعية يمكن أن يؤثر في تحصيل العلم. قال الزُّرْنُوجي: ((فإن من اشتغل قلبه بأمر الرزق من القوت والكسوة قلما يتفرغ لتحصيل مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور)) [الزُّرْنُوجي:٨٤]. وقال أيضاً: ((لأن الهم والحزن لا يرد المصيبة، ولا ينفع، بل يضر بالقلب، والعقل، والبدن)) [الزُّرْنُوجي:٨٥]. وقال أيضاً:

((وتحصيل العلم ينفي الهم، والحزن)) [الزُّرْنُوجي:١٠٥]. وقال أيضاً: ((وأما ما يورث النسيان (...)الهموم، والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلائق)) [الزُّرْنُوجي:١٠٤].

ويلاحظ أن الزُّرْنُوجي ربط بين العلاقات الاجتماعية وتأثيرها في العوامل الانفعالية، فذكر أن الهموم والأحزان يمكن أن تنتج من أمور الدنيا، فيتأثر الإنسان بها، ومن ثَمَّ قد تنسيه ما تعلم.

من الأمور التي تشغل القلب وتعيق التعلم، مخاصمة الناس، وكثرة جدالهم فيما لا ينفع. قال الزُّرْنُوجي محذراً المتعلم من الاشتغال بالجدل العقيم، وأثره في التعلم: ((وإيّاك أن تشتغل بهذا الجدل (العقيم) (...) فإنه يبعد الطالب عن الفقه، ويضيع العمر، ويورث الوحشة، والعداوة))[الزُّرْنُوجي:٣٣]. وقال أيضاً: ((وينبغي ألا ينازع أحداً، ولا يخاصمه؛ لأنه يضيع أوقاته)) [الزُّرْنُوجي:٩١] وقال أيضاً: ((وإيّاك والمعاداة فإنها تفضحك، وتضيع أوقاتك)) [الزُّرْنُوجي:٩٢] وذكر شعراً لبعض الشعراء، فقال: [الزرنورجي:٩٢]

ولم أرَ في الخطوب أشد وقعاً وأصعب من معاداة الرجال

إن مخاصمة الناس، ومعاداتهم، تورث ضياع الأوقات فيما يضر ولا ينفع، ولو استثمر المتعلم هذه الأوقات في التعلم لعزز تعلمه، ولشغل وقته فيما ينفعه.

وذكر الزُّرْنُوجي أن العلاقات الاجتماعية القائمة على المحبة، والإحسان، والمعاشرة بالمعروف، وطيب الكلام، وبسط اللسان يمكن أن تؤثر في تعلم الفرد. قال الزُّرْنُوجي: ((وبسط الوجه، وطيب الكلام يزيد في الحفظ والرزق)) [الزُّرْنُوجي:١١٠]. إذ إن من ثمرات العلاقات الاجتماعية الطيبة راحة النفس، وطمأنينة القلب، وهدوء البال، ولا يخفى ما لهذه الثمرات من تأثيرات في زيادة التعلم بوجودها، وقلته بفقدانها. ومن هنا نصح الزُّرْنُوجي المتعلم بأن يتعامل مع شركائه أو رفاقه باللطف والمودة، وأن يخالط الصالحين منهم، ويبتعد عن المفسدين والكسالى. قال الزُّرْنُوجي: ((ويجاور الصلحاء فإن المجاورة مؤثرة لا محالة)) [الزُّرْنُوجي:٩٨]. وقال أيضاً: ((ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس، ومن يتعلم منه، والتملق مذموم إلا في طلب

العلم فإنه ينبغي أن يتملّق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم)) [الزُّرْنوجي:٤٧، وانظر: ٩٦]. وقال أيضاً: ((ينبغي أن يختار (الشريك) الجد (...) ويفرّ من الكسلان)) [الزُّرْنوجي:٣٧].

تدعو التربية الحديثة إلى إعداد الطلاب للحياة الاجتماعية، وتبصيرهم بمشكلاتها، فقد نادى بذلك المربي الفرنسي فرينيه الذي دعا أيضاً إلى خلق روح العمل الجماعي المشترك في الطلاب، وضرورة توفير الجو الانفعالي الهادئ لهم، ليعينهم على التعلم. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٧٧، ٢٧٩]. ودعت المربية الأمريكية هيلين باركهرست أيضاً إلى أهمية المساهمة في تقوية الروح الاجتماعية بين الطلاب، وتنمية حسهم الاجتماعي من خلال إتاحة الحرية لهم، والتعاون فيما بينهم. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٧٢-٢٧٣]. ودعا دوكرولي أيضاً إلى الاهتمام بالتربية الاجتماعية، وربط المدرسة بالبيئة الاجتماعية، وتهيئة الجو الاجتماعي المناسب للتعلم. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٦٠، ٢٦٢].

ومن المربين الذين أعطوا الجانب الاجتماعي أهمية في التعلم (وليم هارد كيلباترك) (١٨٧١-......) المربي والفيلسوف الأمريكي الذي أكد ضرورة امتزاج النشاط العقلي بالنشاط الجسمي في وسط اجتماعي يشتمل على علاقات اجتماعية تساهم في تحقيق نمو سليم، وتكيف جيد ضمن مجتمع ديمقراطي. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٥٢، ٢٥٣]. وجون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢) الذي نادى بأهمية نشأة الطفل بجو اجتماعي موافق لمبادئ الديمقراطية، وفي هذا يقول: ((إن التربية الديمقراطية لا تنحصر في الوصول بالفرد إلى أن يحسن الاشتراك في حياة الجماعة التي يعيش معها، وأن تهيئ الفرص للتفاعل المستمر بين الجماعات المختلفة)). [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٣٩]. والمربي الفرنسي (إميل دوركايم) (١٨٥٨-١٩١٧م) الذي يرى أن مهمة التربية هي إعداد النشء للحياة الاجتماعية، مع مراعاة حاجات البيئة المحيطة، والاهتمام بالعلم المشترك للمجتمع، وخلق التجانس بين أفراده. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢٣٢].

واهتم المربي والفيلسوف الأنكليزي هربرت سبنسر (١٨٣٠-١٩٠٣م) أيضاً بالتربية الخلقية والاجتماعية، وذكر أن التربية هي الإعداد للحياة الكاملة، وأن الغرض منها، ومن الدراسة، إعداد

الفرد لأن يعيش حياة كريمة، تسودها الصلات المتينة، والعلاقات السياسية والاجتماعية الطيبة بين أفراد المجتمع. [الأنسي، باقارش، ١٩٩٩، ٢١٦].

٦- الخاتمة

تحدث الزُّرْنوجي عن جملة من العوامل التي يمكن أن تؤثر في التعلم،ويمكن إرجاعها إلى عوامل جسمية تتعلق ببعض الأطعمة والأشربة التي تزيد في التعلم؛كالعسل، والزبيب، وبعضها الأخر ينقص منه؛كأكل التفاح الحامض.وعوامل انفعالية تتعلق بالنواحي الدينية؛كالصلاة، والصيام،والشكر،وقراءة القرآن، التي تؤثر إيجابيا في التعلم، ومجمل المعاصي التي تؤثر سلبيا فيه.وعوامل تربوية؛كاحترام المعلم، وتنويع التعلم،والحرية فيه،التي تجلت عناصرها في اختيار نوع العلم، والمعلم،و الشريك الذي يتعلم معه.وعوامل اجتماعية تتعلق بأثر العلاقات الاجتماعية الحسنة والسيئة في التعلم.وبعض الأفكار التي ذكرها الزُّرْنوجي في مجال العوامل التربوية والاجتماعية دعت إليها التربية الحديثة.وأما أفكاره في مجال العوامل الجسمية فكانت من معتقدات عصره، ولم يكتب لها القبول في التربية الحديثة.

نتائج البحث ومقترحاته

الحمد لله أولاً وآخراً الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة التي بذلت فيها جهداً عظيماً، ووقتاً عزيزاً، وخرجت منها بمكاسب علمية جمة. ويمكن الإشارة إلى أهم النتائج والمقترحات في ما يأتي:

أولاً– النتائج:

١ – إن للبيئة والعصر الذي عاش فيه الزُّرْنُوجي أثراً علمياً واجتماعياً في شخصيته، فقد دعاه ذلك إلى تأليف كتابه ((تعليم المتعلم طريق التعليم)) إدراكاً منه بمدى حاجة المتعلمين إلى إزالة أو تذليل الصعوبات التي تواجههم في تعلمهم، حينما رأى أنهم حرموا من ثمرات العلم، لأنهم ابتعدوا عن طرائق تحصيله، وشرائط الانتفاع به.

ويلاحظ أيضاً مدى تأثير تلك البيئة في فكر الزُّرْنُوجي من خلال ذكره بعض معتقدات عصره، وتبنيها، كحديثه عن أنواع الأطعمة والأشربة التي تؤثر في الحفظ والنسيان، ومن ثمّ في التعلم إيجابياً أو سلبياً، وإن كان بعضها ليس له أصل لا في المصادر الشرعية، ولا في التربية الحديثة.

٢ – يبدو من خلال عنوان كتاب الزُّرْنُوجي ((تعليم المتعلم طريق التعلم)) ومضمونه أن الزُّرْنُوجي يرى أن غاية التعلم هي أن يتعلم المتعلم كيف يتعلم، وهذا ما يؤكده المصطلح الحديث لعلم نفس التعلم الذي يهدف إلى كيفية تعليم المتعلم أن يتعلم بنفسه، أو كيف يعلم نفسه.

٣ – إن الأدلة الصريحة من القرآن والسنة، ونصوص المفكرين المسلمين، ولا سيما الزُّرْنُوجي أكدت مبدأ إلزامية التعلم، وسبقت الأنظمة التربوية التي دعت إليه في القرن التاسع عشر الميلادي. ويكمن الفرق الرئيس في التعلم الإلزامي بين التربية الإسلامية والنظم التربوية. فهذه النظم سنت تشريعات قانونية تلزم الأفراد بالتعلم ومعاقبتهم إذا ما امتنعوا من ذلك. أما التربية الإسلامية فقد جعلت التعلم الإلزامي ذا اعتبار دياني يقوم على تربية الفرد بمراقبة خالقه، وإيمانه بالثواب والعقاب، ومسؤوليته عن تعلمه أمام الله عز وجل يوم القيامة.

٤ – بيّن الزُّرْنُوجي أهمية الاستمرار في التعلم، وذكر الوسائل التي تعزز المتعلم لضمان استمراره في التعلم، كتنويع التعلم، وتكراره، والصبر عليه ..... وهذا ما أكدته الدراسات التربوية الحديثة، وأخذت به في طرائق التدريس، والمناهج الدراسية.

٥ – دعا الزُّرْنُوجي إلى الأخذ بمبدأ التدرج في التعلم على وفق مراحل نمو المتعلم، وفهمه، وضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. وهذا ما تطبقه التربية الحديثة، وتسعى إلى تفعيله.

٦ – ينادي الزُّرْنُوجي بالتربية المتكاملة، فقد تناول شخصية المتعلم من جوانبها المختلفة؛ الجسدية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية، والخلقية، والدينية. وهذا ما أكدته التربية الحديثة، ولا سيما المربي البلجيكي أوفيد دوكرولي.

٧ – اهتم الزُّرْنُوجي بعناصر العملية التربوية جميعها، من المتعلم، والمعلم، والمنهاج، ورأى أن المتعلم محور العملية التربوية، وبين مدى إسهام المعلم في تنمية تعليم المتعلم، عن طريق معرفة ميوله، وحاجاته، ومراعاتها وضرورة التعامل الحسن معه.

٨ – استمد الزُّرْنُوجي أفكاره التربوية في مجال طرائق التدريس من مصادر الشريعة الإسلامية، ومن تجاربه الشخصية، وتجارب من سبقه من العلماء.

٩ – اهتم الزُّرْنُوجي في بيان دوافع التعلم؛ الدافع المعرفي، والدافع التنافسي، ودافع الإنجاز والتقدير، وذكر أثرها في عملية التعلم. وتؤكد الدراسات التربوية الحديثة في مجال علم النفس، ولا سيما ما ذهب إليه أصحاب نظرية التقرير الذاتي التي هي إحدى نظريات الدافعية الحديثة صحة أفكار الزُّرْنُوجي.

١٠ – ذكر الزُّرْنُوجي أهمية الاستعداد للتعلم، وبين الوسائل التي تجعل المتعلم أكثر استعداداً للتعلم، فربط بين النية، والتوكل والورع، والمواظبة، وجعلها وسائل فعالة تسهم في تنمية الاستعداد.

١١ – بين الزُّرْنُوجي حكم التعلم، وفرّق بين حالاته تبعاً لفائدة العلم، وحاجة المتعلمين إليه، فقسم العلم من حيث تعلمه إلى فرض عيني، وفرض كفاية، وذكر الحالات التي يحرم فيها التعلم.

١٢ – يُستشف مما قاله الزُّرْنُوجي في مجمل كتابه أنه أشار إلى مضمون بعض أنماط التغذية الراجعة، ووظائفها؛ الداخلية، والخارجية، والتصحيحية، والفورية، والمؤجلة.

١٣ – تمثلت طرائق التعلم التي سادت في عصر الزُّرْنُوجي في الفهم، والتكرار، والتأمل، والحفظ، والمذاكرة، والمطارحة، والمناظرة، والسؤال.

١٤ – مبادئ التعلم عند الزُّرْنُوجي هي: إلزامية التعلم، والدافعية، والاستعداد، والاستمرارية، والتغذية الراجعة، والتدرج ومراعاة الفروق الفردية.

١٥ – بين الزُّرْنُوجي أثر الفهم في التعلم، ووسائل تحقيق الفهم التي تمثلت بالاجتهاد في الفهم، والتدرج والتأصل فيه، وتحضير الدرس، وكتابته، وتكراره. وما ذكره الزُّرْنُوجي في هذا المجال أكدته التربية الحديثة، ولا سيما المربية ماريا منتسوري، والمربي الفرنسي اميل شارتيه، والمربي السويسري يوحنا هنري بستالوتزي، والمربي الأمريكي جون ديوي.

١٦ – تحدث الزُّرْنُوجي عن التكرار، وأثره في التعلم، وشروطه، وربط بين كمية التكرار، وقدرة المتعلم عليه، وذكر أهمية تحديد فترة زمنية للتكرار، وضرورة استمراره، ووظائفه. وهذه الأمور أكدت بعضها التربية الحديثة، ولا سيما المربي إميل شارتيه ،أدوارد كلاباريد.

١٧ – تحدث الزُّرْنُوجي عن الحفظ والنسيان، والعوامل التي تؤثر فيهما سلبياً وإيجابياً، وما ذكره الزُّرْنُوجي من عوامل تزيد من الحفظ، أو تؤثر في النسيان فإن بعضها له صلة بجوانب تربوية، وأكثرها لا علاقة له بالتربية، إنما أخذها من معتقدات عصره، وتجاربه الشخصية، التي لم يكتب لها القبول لا في المصادر الشرعية، ولا في التربية الحديثة.

١٨ – تحدث الزُّرْنُوجي عن المذاكرة والمطارحة والمناظرة بوصفها طرقاً من طرائق التعلم، وبين فوائدها، وشروطها؛ من حيث التأمل والتأني فيها، ومراعاة نشاط المتعلم، وتهيئة الجو النفسي

الملائم في أثناء القيام بها. وبعض إسهامات الزُّرْنُوجي في هذا المجال نادت بها التربية الحديثة، ولا سيما كينث هوفر.

١٩ – ذكر الزُّرْنُوجي جملة من العوامل التي تساعد على التعلم، أو تعيقه، وتمثلت هذه العوامل في عوامل اجتماعية، وتربوية، وانفعالية، وجسمية، ومعظم آرائه في مجال العوامل الجسمية لم يكتب لها القبول في التربية الحديثة. وأما آراؤه في مجال العوامل التربوية، ولا سيما علاقة المعلم بالمتعلم، وتنويع التعلم، والحرية فيه، فقد دعت إليها التربية الحديثة.

٢٠ – أعطى الزُّرْنُوجي الحرية للمتعلم في اختيار العلم الذي يناسبه، ويهمه في دينه ودنياه، والأستاذ الذي يتعلم منه، والشريك الذي يتعلم معه، وحمّل المتعلم مسؤولية اختياره، وبين المعايير التي بمقتضاها تتم عملية اختيار المعلم والشريك. ومعظم أفكار الزُّرْنُوجي في هذا المجال تدعو إليها التربية الحديثة، ولا سيما المربية هيلين باركهرست، والمربي جون ديوي، وجورج كرشنشتاينر.

٢١ – ربط الزُّرْنُوجي العلم بالعمل لتحقيق الهدف من العلم، وقد اهتمت التربية الحديثة بضرورة الربط بين العلم والعمل به، فأكد جون ديوي أهمية التعلم عن طريق العمل، واهتم أوفيد دوكرولي بالتعلم وربطه بالحياة.

٢٢ – بين الزُّرْنُوجي أثر العلاقات الاجتماعية في التعلم، فنادى بضرورة جعل علاقة المعلم بالمتعلم قائمة على أساس الشفقة والنصيحة، وعلاقة المتعلم بالمعلم قائمة على أساس الاحترام، وعلاقة المتعلم بصديقه وشريكه قائمة على أساس التعاون والمحبة، والمنافسة الشريفة. ونصح المتعلم ألا يكثر من الأعمال والعلاقات التي تشغل قلبه، وتشتت ذهنه، ومن ثَمَّ تؤثر في تعلمه. ومعظم الأفكار التي طرحها الزُّرْنُوجي هي في هذا المجال دعت إليها التربية الحديثة، ولا سيما المربي الفرنسي فرينيه الذي أكد ضرورة توفير الجو الانفعالي الهادئ للمتعلم، وتنمية روح العمل الجماعي بين المتعلمين، والمربية هيلين التي أكدت أهمية المساهمة في تقوية الروح الاجتماعية بين الطلاب، وتنمية حسهم الاجتماعي، والتعاون بينهم.

٢٣ – يلاحظ من خلال ما سبق أن الزُّرْنُوجي استطاع أن يستثمر معارفه اللغوية والشرعية في الإشارة إلى مبادئ تربوية عظيمة.

ثانياً– المقترحات:

خرج الباحث من خلال هذه الرسالة بجملة من المقترحات يمكن ذكر أهمها:

١ – تعزيز الاهتمام بالبحث في الفكر التربوي العربي والإسلامي، ،وبيان مدى الاستفادة منه.

٢ – إجراء دراسات تربوية مقارنة بين الفكر التربوي التقليدي والحديث من جهة والفكر العربي والإسلامي من جهة أخرى، وزيادة الصلة والتعاون بين المؤسسات العلمية ذات العلاقة، ولا سيما كليتي الشريعة والتربية، ومعهد التراث العلمي.

٣ – بعض الأفكار التي طرحها الزُّرْنُوجي تحتاج إلى دراسات خاصة لبيان مدى تأثيرها في عملية التعلم، والتشجيع على دراستها، وبيان أهميتها التربوية، ومن هذه الأفكار: التأمل، والنية، والعلاقات الاجتماعية، وبعض الجوانب الأخلاقية.

خلاصة

اهتم البحث في بيان ثقافة الزرنوجي، وطلبه العلم، والعصر الذي عاش فيه، وأحداثه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، ومدى تأثيرها في إسهاماته التربوية.

لقد أشار الزرنوجي في كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم" إلى أهم مبادئ التعلم التي تمثلت في الدافعية، والاستعداد للتعلم، والاستمرار فيه، والتدرج، ومراعاة الفروق الفردية في التعلم، وإلزاميته، والتغذية الراجعة.وركز على المذاكرة، والمطارحة، والمناظرة باعتبارها أهم طرائق التعلم، وذكر وسائل أخرى أسهمت في تنمية التعلم؛ كالفهم، والتأمل، والحفظ، والتكرار، والسؤال.

واستشف الباحث من مجمل ما ذكره الزرنوجي في كتابه أهم العوامل المساعدة على التعلم ومعوقاته، وقسمها إلى عوامل جسمية، وانفعالية، وتربوية، واجتماعية.

وأظهر البحث مصادر الأفكار التربوية التي طرحها الزرنوجي، وتأصيلها من القرآن والسنة.وبيّن أيضاً سبق الزرنوجي في بعض إسهاماته لما تنادي به التربية الحديثة، مثل: ربط العلم بالعمل، ومراعاة حرية المتعلم، والدعوة إلى التربية المتكاملة، والاهتمام بالعلاقات الاجتماعية، وتأثيرها في التعلم، واعتماد مبدأ التدرج في التعلم، ومراعاة الفروق الفردية.

Summary

This research reveals Al Zarnoujis education his seeking knowledge,the era he lived in its political, economical, social, scientific and their impact on his educational contributions.

Alzarnouji in his book "Teaching the learner the way of learning" he pointed to the most important principles that represent the motivation, readiness for learning , the progress, graduation the individual differences, the obligation of learning and feeding back. He concentrated on testing, discussing, and debating, as most important learning techniques .as well as he mentioned some other techniques in developing process of learning as understanding, contemplation, memorizing repetition and question.

The researcher concentrated on the most ALZarnojis ideas in his book, the helping factors in learning, and obstacles, then he divided to physical, emotional, educational and social factors .

The search reveled the sources of educational ideas which ALZarnoji discussed, the way he originated them from Quran, and Sunna mean while this search showed the a ethers pre-contributions in the field of moderen educations such as :connecting between words and practice, learners freedom, call for education, social relationships their effect on learning the graduation in learning, as well as the individual differences.

مراجع البحث[1]

١ – أباثمي، عبد المحسن بن عبد العزيز (١٩٤٤) **فاعلية بعض أشكال التغذية الراجعة على تحصيل الطلبة الدراسي**، دار التقنيات، الرياض.

٢ – الإبراشي، محمد عطية (١٩٨٥)، **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، مصر.

٣ – إبراهيم، عبد العليم (١٩٦٢)، **في طرق التدريس الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية**، دار المعارف، ط٢، مصر.

٤ – أحمد، محمد عبد القادر(١٩٨٦)،كتاب **تعليم المتعلم طريق التعلم** تأليف الإمام برهان الإسلام الزُّرْنُوجي، تحقيق ودراسة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٥ – الإسنوي، جمال الدين عبد الرحمن بن الحسن (١٩٨٤)، **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول**، تحقيق، محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت.

٦ – الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (١٤١٥)، **مسند أبي حنيفة**، تحقيق، نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، ط١، الرياض.

٧ – الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (١٤١٧)، **المسند المستخرج على صحيح مسلم**، تحقيق، محمد حسن ، وإسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٨ – آل عبد الله، فايزة عطا الله محمد(١٤١٦)، **الفكر التربوي عند برهان الدين الزُّرْنُوجي في كتابه تعليم المتعلم طريق التعلم**، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى.

٩ – الأنسي، عبد الله علي، وباقارش، صالح سالم (١٩٩٩)، **مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ**، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط٣، مكة المكرمة.

[1] – تمت الفهرسة بعد حذف كلمة"ابن"،"أبو" ولام التعريف.

١٠ – الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا (١٤١١)، **الحدود الأنيقة**، تحقيق، مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت.

١١ – أنيس، إبراهيم، وآخرون (١٩٩٠)، **المعجم الوسيط**، دار الأمواج، ط٢، بيروت.

١٢ – الأهواني، أحمد فؤاد (د . ت)، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، مصر.

١٣ – أوبير، رونيه (١٩٦٧)، **التربية العامة**، ترجمة، عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ط١، بيروت.

١٤ – البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧)، **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح)**، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، بيروت، دمشق.

١٥ – بغدادي، محمد رضا(١٩٨١)**الأهداف والاختبارات بين النظرية والتطبيق في المناهج وطرق التدريس**، مكتبة الفلاح، الكويت .

١٦ – البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (١٤٠٣)، **فتوح البلدان**، تحقيق، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧ – بوز، كهيلا (٢٠٠٤/٢٠٠٥)، **طرائق تدريس التربية**، منشورات جامعة دمشق.

١٨ – البوطي، محمد سعيد رمضان (د . ت) **أبحاث في القمة** – القسم الأول – بحث **منهج تربوي فريد في القرآن**، دار الفارابي، دمشق.

١٩ – البيهقي، أحمد بن الحسين (١٤١٠هـ)، **شعب الإيمان**، تحقيق، محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.

٢٠ – البيهقي، أحمد بن الحسين (١٩٩٤)، **السنن الكبرى**، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

٢١ – الترمذي، محمد بن عيسى (د . ت)، **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٢ – التلمساني، أبو الحسن (١٩٨٠)، **تخريج الدلالات السمعية**، تحقيق، أحمد محمد أبو سلامة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٢٣ – التميمي، تقي الدين عبد القادر (١٩٨٣)، **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، دار الرفاعي، الرياض.

٢٤ – التهانوي، محمد علي(١٩٩٦) ، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان، ط١،بيروت.

٢٥ – الجاحظ، عمرو بن بحر(١٩٣٢)، **البيان والتبيين**،تحقيق، السعدوبي،طبع مصطفى محمد،مصر.

٢٦ – الجرجاني ، الشريف علي بن محمد(١٩٨٨)،**التعريفات** ، دار الكتب العلمية، ط٣ ، بيروت .

٢٧ – الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (١٣٩٩)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق، طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٨ – جلو، الحسين جرنو محمود (١٩٩٤)، **أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت.

٢٩ – الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (١٩٩٠)، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٣٠ – ابن حبان، محمد بن أحمد (١٩٩٤)، **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت

٣١ – حبنكة، عبد الرحمن حسن (١٩٧٩)، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، ط١، دمشق، بيروت.

٣٢ – حسن، إبراهيم حسن (١٩٦٥)، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، ط٧.

٣٣ – الحسني، محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي (١٩٨٩)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط١، بيروت.

٣٤ – الحسيني الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى (١٩٩٣)، **الكليات** ، تحقيق : عدنان درويش وآخرون، ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ،بيروت.

٣٥ – حمدان، نذير(١٩٨٩)، **في التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية**، ،دار المأمون للتراث، ط١، دمشق.

٣٦ – الحموي، ياقوت بن عبد الله (د . ت)، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت.

٣٧ – خلاف، عبد الوهاب(١٩٩٢)، **علم أصول الفقه**، ، الدار المتحدة ، بيروت.

٣٨ – ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي (١٩٨٤)، **تاريخ ابن خلدون**، دار القلم، ط٥، بيروت.

٣٩ – ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (د . ت)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٤٠ – أبو خليل، شوقي (٢٠٠٢)، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، دار الفكر، دمشق.

٤١ – خير الله، سيد محمد، والكناني، ممدوح عبد المنعم (١٩٨٣)، **سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق**، النهضة العربية، بيروت.

٤٢ – الدار قطني، علي بن عمر البغدادي (١٩٦٦)، **سنن الدار قطني**، تحقيق، السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت.

٤٣ – دغوظ، رشدي (١٩٨٢)، **احتياجات ومتطلبات تنفيذ إلزامية التعليم الابتدائي في القطر العربي السوري بعد صدور القانون** ٣٥، رسالة لنيل دبلوم التخصص في تخطيط التعليم والقوى العاملة، دار السلام.

٤٤ – الدمشقي، عبد الغني الغنيمي (د . ت)، **اللباب في شرح الكتاب**، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٥ – الديلمي، شيرويه (١٩٨٦)، **الفردوس بمأثور الخطاب**، تحقيق، السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦ – الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (١٤١٣هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت.

٤٧ – راجح، أحمد عزت (١٩٧٣)، **أصول علم النفس**، المكتب المصري الحديث، ط٩، الإسكندرية.

٤٨ – الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٨٨)، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان بيروت.

٤٩ – رحمة، أنطون حبيب (١٩٩٢)، **تجارب عربية في التعليم الأساسي، ودليل تخطيطه**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

٥٠ – الرشدان، عبد الله، وجعنيني، نعيم (١٩٩٩)، **المدخل إلى التربية والتعليم**، دار الشروق، ط٢، عمان، الأردن.

٥١ – زايد، نبيل محمد (٢٠٠٣)، **الدافعية والتعلم**، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة.

٥٢ – الزحيلي، وهبة (١٩٨٩)، **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، ط٤، دمشق.

٥٣ – الزركلي، خير الدين (١٩٨٤)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين، والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت.

٥٤ – الزُّرْنوجي، برهان الإسلام (١٩٩٨)، **تعليم المتعلم طريق التعلم**، تحقيق، عبد الجليل العطا، دار النعمان للعلوم، ط١، دمشق.

٥٥ – الزمخشري، جاد الله محمود بن عمر (د . ت)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، نشر أدب الحوزة.

٥٦ – الزنجاني، شهاب الدين محمود بن أحمد (١٩٨٧)، **تخريج الفروع على الأصول**، تحقيق محمد أديب الصالح، مؤسسة الرسالة، ط٥/بيروت.

٥٧ – الزيد، زيد بن عبد الكريم (٢٠٠٢)، **توجيهات منهجية في التحصيل العلمي**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الإدارة العامة للثقافة والنشر، الرياض .

٥٨ – السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (١٩٩٨)، **الأنساب**، تحقيق، عبد الله ابن عمر البارودي، دار الفكر، ط١، بيروت.

٥٩ – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٢٠٠٣)،**الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق، محمود أحمد القيسية، ومحمد أشرف سليمان الأتاسي، مؤسسة النداء، ط١، أبو ظبي.

٦٠ – شاكر، محمود (١٩٨٧)، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦١ – الشرقاوي، أنور محمد (١٩٩٨)، **التعلم ونظريات وتطبيقات**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، القاهرة.

٦٢ – شلبي، أحمد (١٩٦٠)، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، القاهرة.

٦٣ – شلبي، أحمد (١٩٧٣)، **تاريخ التربية الإسلامية**، ط٤، د . ن.

٦٤ – شمس الدين، عبد الأمير (١٩٩٠)، **الفكر التربوي عند الغزالي**، دار الكتاب العالمي، ط١، بيروت.

٦٥ – الشيباني، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (١٤١٥)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت.

٦٦ – الشيباني، عمر بن محمد التومي (١٩٧٥)، **تطور النظريات والأفكار التربوية**، دار الثقافة، ط٢، بيروت.

٦٧ – ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (١٤٠٩)، **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط١، الرياض.

٦٨ – الصابوني، محمد علي (د.ت) **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٩ – صلاح، سمير يونس أحمد (١٩٩٧)، **تنمية الكفايات النوعية الخاصة بتعلم القرآن الكريم لدى طلاب كلية التربية**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، .

٧٠ – صيني ، سعيد إسماعيل (١٩٩٤)،**قواعد أساسية في البحث العلمي** ، ،مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧١ – الطبري، محمد بن جرير (د . ت)، **تاريخ الطبري**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢ – ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (د . ت)، **رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)**، دار إحياء التراث العربي.

٧٣ – عاشور، مصطفى (١٩٨٦)، تحقيق كتاب **تعليم المتعلم طريق التعلم** برهان الإسلام الزُّرْنُوجي مكتبة القرآن ،مصر.

٧٤ – عاقل، فاخر (١٩٨١)، **التعلم ونظرياته**، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت.

٧٥ – عاقل، فاخر (١٩٩٠)، **علم النفس التربوي**، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت.

٧٦ – عاقل، فاخر(١٩٧٩)، **معجم علم النفس ، إنجليزي ، فرنسي، عربي**، ، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت .

٧٧ – عاقل،فاخر(١٩٧٣)، **أصول علم النفس وتطبيقاته** ، ، دار العلم للملايين ، ط١، بيروت.

٧٨ – العالم، يوسف حامد(١٩٩٧)، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** ، دار الفكر العربي،القاهرة.

٧٩ – ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (د . ت)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، دار الجيل، بيروت.

٨٠ – عبد الدائم، عبد الله (١٩٨٤) **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت.

٨١ – عبد العال، حسن إبراهيم (١٩٨٥)، **فن التعلم عند بدر الدين بن جماعة**، مكتب التربية العربية الدول الخليج، الرياض.

٨٢ – عبد العزيز، صالح (١٩٧٨)، **التربية وطرق التدريس**، دار المعارف، ط١٠، القاهرة.

٨٣ – عبد الغني، عارف (١٩٩٣)، **نظم التعليم عند المسلمين**، دار كنان، ط١، دمشق.

٨٤ – عبد الله ،عبد الرحمن صالح(١٩٨٨)، **دراسات في الفكر التربوي الإسلامي**، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير ،عمان،ط١ .

٨٥ – عتر، نور الدين (١٩٩٣)، **علوم القرآن**، دار الخير، ط١، دمشق.

٨٦ – عتر، نور الدين(١٩٨١)،**منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، ط٣،دمشق .

٨٧ – عثمان، سيد أحمد (١٩٨٨)، **من أعلام التربية العربية الإسلامية**، بحث بعنوان **برهان الإسلام وكتابه تعليم المتعلم طريق التعلم**، ضمن المجلد الثالث، مكتب التربية العربية لدول الخليج.

٨٨ – العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (١٤٠٥)، **كشف الخفاء**، تحقيق، أحمد القلاش، ط٤، بيروت.

٨٩ – العطا، عبد الجليل (١٩٩٨)، **تحقيق كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي**، دار النعمان للعلوم، ط١، دمشق.

٩٠ – العلموي، عبد الباسط بن موسى بن محمد (د.ت)، **المعيد في أدب المفيد والمستفيد(العقد التليد في اختصار الدر النضيد للغزي)**، د.ن.

٩١ – علي، سعيد إسماعيل (١٩٨٧)، **الفكر التربوي العربي الإسلامي** بحث بعنوان **الدولة والتعليم**، تونس.

٩٢ – علي، سعيد إسماعيل(٢٠٠١)، **فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية**، ، دار الفكر العربي، ط١،القاهرة.

٩٣ – العمايرة، محمد حسن (٢٠٠٠)، **الفكر التربوي الإسلامي**، دار المسيرة، ط١، عمان.

٩٤ – عناية، غازي حسين (١٩٩٠) **مناهج البحث العلمي في الإسلام**، دار الجيل، ط١، بيروت.

٩٥ – عيسى، عبد القادر (٢٠٠١)، **حقائق عن التصوف**، دار العرفان، ط١١، حلب.

٩٦ – الغريب، رمزية (١٩٧١، ١٩٦٧)، **التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، القاهرة.

٩٧ – الغزالي، أبو حامد (د . ت)، **إحياء علوم الدين**، دار الكتاب العربي،بيروت.

٩٨ – فرج، علية علي (١٩٧٧)، "الإلزام في النظم التعليمية"، **صحيفة التربية**، السنة التاسعة والعشرون، العدد/٤/أكتوبر.

٩٩ – فلاديمير، فاسيلي (١٩٨١)، **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

١٠٠ – فهمي، أسما (١٩٥٥)، **التعليم الإلزامي للبنات في البلاد العربية**، دار المعارف، مصر.

١٠١ – القابسي، علي بن محمد بن خلف (د. ت)، **أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، مطبوعة ملحق كتاب التربية في الإسلام للأهواني، دار المعارف، مصر.

١٠٢ – القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (١٩٨٥)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٣ – قطامي، يوسف، ونادية (٢٠٠٠)، **سيكولوجية التعلم الصفي**، دار الشروق، ط١، عمان الأردن.

١٠٤ – قطب، سيد (د. ت) **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، بيروت.

١٠٥ – قطلوبغا، زين الدين قاسم بن قطلوبغا (١٩٩٢)، **تاج التراجم في ممن صنف من الحنفية**، تحقيق، إبراهيم صالح، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.

١٠٦ – القلا ، فخر الدين ، وناصر، يونس(١٩٩٠)، **أصول التدريس** ، منشورات جامعة دمشق.

١٠٧ – القلا ، فخر الدين(١٩٩٣)، **محو الأمية وتعليم الكبار**، منشورات جامعة دمشق.

١٠٨ – القنوجي، صديق بن حسن (١٩٧٨)، **أبجد العلوم**، دار الكتب العلمية، تحقيق، عبد الجبار زكار، ط١، بيروت.

١٠٩ – الكاندهلوي، محمد يوسف (١٩٩٩)، **حياة الصحابة**، دار الحديث، ط١، القاهرة.

١١٠ – ابن كثير، إسماعيل القرشي (١٩٩٤)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الخير، ط١، دمشق ــ

١١١ – كلاين، ستيفن (٢٠٠٣)، **التعلم مبادئه وتطبيقاته**، ترجمة، رباب حسني هاشم، مركز البحوث، المملكة العربية السعودية.

١١٢ – الكناني، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (١٤٠٣)، **مصباح الزجاجة**، تحقيق، محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية،ط٢، بيروت.

١١٣ – اللالكائي، هبة الله بن الحسن الطبري (١٤١٢)، **كرامات الأولياء**، تحقيق، أحمد سعد الجمان، دار طيبة، ط١، الرياض.

١١٤ – اللكنوي، محمد عبد الحي (١٣٢٤)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية مع التعليقات السنية**، مطبعة دار السعادة، ط١، مصر.

١١٥ – ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (د . ت)، **سنن ابن ماجه**، دار الفكر، بيروت.

١١٦ – مجموعة من الباحثين(١٩٨٨) **الموسوعة الفقهية** ، الكويت ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،ط٢، الكويت.

١١٧ – مدكور، علي أحمد (١٩٩٩)،**منهجية تدريس المواد الشرعية** ، دار الفكر العربي، القاهرة.

١١٨ – مرزا، محمد علي (٢٠٠١)، **تطوير التعليم الإلزامي في جمهورية مصر العربية في ضوء خبرة المملكة المتحدة دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، معهد الدراسات والبحوث التربوية.

١١٩ - مسلم، بن الحجاج القشيري (د . ت)، **صحيح مسلم (الجامع الصحيح)**، دار إحياء التراث، بيروت.

١٢٠ - مشارقة، محمد زهير (د . ت)، **مشكلات التعليم الإلزامي في القطر العربي السوري.**

١٢١ - المكي، محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني (١٩٨٥)، **العجالة في الأحاديث المسلسلة**، دار البصائر، ط٢، دمشق.

١٢٢ - المناوي، عبد الرؤوف (١٣٦٥)، **فيض القدير**، المكتبة التجارية، ط١، مصر.

١٢٣ - المناوي، محمد عبد الرؤوف(٢٠٠٢)، **التوقيف على مهمات التعاريف** ، تحقيق ، محمد رضوان الداية، دار الفكر ، دمشق.

١٢٤ - المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (١٤١٧)، **الترغيب والترهيب**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

١٢٥ - منصور، علي (١٩٩٣)، **التعلم ونظرياته**، منشورات جامعة دمشق.

١٢٦ - ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (د.ت)، **لسان العرب**، دار صادر، ط١، بيروت.

١٢٧ - ناصر إبراهيم (١٩٨٩)، **أسس التربية**، دار عمار، ط٢، الأردن.

١٢٨ - نجاتي، محمد عثمان (٢٠٠٠)، **الحديث وعلم النفس**، دار الشروق، ط٤، القاهرة.

١٢٩ - نجاتي، محمد عثمان (٢٠٠١)، **القرآن وعلم النفس**، دار الشروق، ط٧، القاهرة.

١٣٠ - النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٨٣)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، ط٢، دمشق.

١٣١ - النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٨٩)، **من أساليب التربية الإسلامية التربية بالآيات**، دار الفكر، ط١، دمشق.

١٣٢ - النسائي، أحمد بن شعيب (١٣٩٢)، **سنن النسائي**، مكتبة المطبوعات، ط٢، حلب.

١٣٣ - النشواتي، عبد المجيد (١٩٨٤)، **علم النفس التربوي** ، دار الفرقان،ط١، عمان ـــ الأردن.

١٣٤ - النغيمشي، عبد العزيز بن محمد (٢٠٠٣)، **علم النفس الدعوي، دراسات نفسية تربوية للآباء الدعاة والمربين**، دار المسلم، ط٢، الرياض.

١٣٥ - النووي، محي الدين بن شرف (١٩٩٦)، **المجموع**، تحقيق، محمود مطرحي، دار الفكر، ط١، بيروت.

١٣٦ - الهاشمي، عبد الحميد (١٩٨٥)، **الرسول العربي والمربي**، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض.

١٣٧ - أبو هلال، أحمد (١٩٧٩)، **تحليل عملية التدريس** ، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان.

١٣٨ - همام، طلعت (١٩٨٤)، **كيف تدرس وتتفوق دراسة لكل الطلبة**، دار الفرقان، عمان.

١٣٩ - هوفر، كينث (د . ت)، **دليل طرائق التدريس في المدارس الثانوية**، ترجمة، أديب يوسف شيش، دار سلام للترجمة، دمشق.

١٤٠ - الهيتمي، ابن حجر (١٩٨٧)، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

١٤١ - الهيثمي، علي بن أبي بكر (١٤٠٧)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الريان للتراث، القاهرة.

١٤٢ - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (د . ت)، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت.